الآفاق الموضوعية والفنية في شعر الخوارج

دراسة للأستاذ الدكتور / صابر عبد الدايم

أولا : توطئة (النشأة .. والفكر ..)

★ لقد حفل العصر الأموى بتيارات متباينة تمخضت عن صراع سياسى ومذهبى كان له أثره النافذ فى كل مجالات الحياة ، وبخاصة فى الاتجاهات الشعرية ، والتقاليد الأدبية ، ودارت رحى هذا الصراع بين الأمويين من جهة ، وبين الشيعة والخوارج والزبيريين من جهة أخرى .

وجاءت نتائج هذا الصراع فى المجال الأدبى مثمرة يانعة ، فالأمويون لهم شعراؤهم وخطباؤهم ، والشيعة لهم فكرهم وشعراؤم وخطباؤهم ، والخوارج كذلك لهم خطباؤهم ، وشعراؤهم ، وآراؤهم التى يدافعون عنها دفاعا مستميتا بالكلمة والسلاح وشعراؤهم ترجموا هذه الآراء الى رؤية شعرية حماسية تصهل أبياتها ، وترعد قوافيها وتتلاقى معانيها مع مبانيها فى تلاحم فنى آسر ، وايقاع شعرى صادق .

★ والخوارج : هم .. الطائفة التى ثارت على نتيجة التحكيم عقب حرب صفين ، ورفعوا شعار « لا حكم الا لله » ، ونشأت تسميتهم نظرا لخروجهم على سيدنا « على » وعدم الدخول فى طاعته .

★ ففى موقف التحكيم ، وبعد أن اتفق الحكمان على مصلحة المسلمين ، ونظرا فى تقدير أمور الناس ، ثم اتفقا على أن يعزلا عليا ومعاوية ثم يجعلا الأمر شورى بين الناس ليتفقا على الأصلح لهم منهما أو من غيرهما .

وقد أشار « أبو موسى » بتولية « عبد الله بن عمر بن الخطاب » فقال له عمرو بن العاص : قول ابنى عبد الله فانه يقاربه فى العلم

والعمل والزهد ، فقال له أبو موسى : انك قد غمست ابنك فى الفتن معك وهو مع ذلك رجل صدق (١) .

★ فقال : عمرو بن العاص فى رواية أخرى : ان هذا الأمر لا يصلحه الا رجل له ضرس يأكل ويطعم ، وكان ابن عمر فيه غفلة .

فقال له ابن الزبير : افطن وانتبه .

فقال ابن عمر : لا والله لا أرشو عليها شيئا أبدا .

ثم قال : يا بن العاص . ان العرب قد أسندت اليك أمرها بعدما تقارعت السيوف وتشاكت بالرماح فلا ترومنهم فى فتنة مثلها أو أشد منها .

★ ثم ان عمرو بن العاص ـ كما يروى ابن كثير ـ حاول أبا موسى على أن يقر معاوية وحده على الناس فأبى عليه ثم حاوله ليكون ابنه عبد الله بن عمرو هو الخليفة ، فأبى أيضا ، وطلب أبو موسى من عمرو أن يوليا عبد الله بن عمر فامتنع عمرو أيضا ، ثم اصطلحا على أن يخلعا معاوية وعليا ويتركا الأمر شورى بين الناس ، ليتفقوا على من يختاروه لأنفسهم .

ولكن الأمور جرت على غير ما تواعد الحكمان . فأبو موسى الأشعرى أعلن خلع على ومعاوية ثم تنحى وجاء عمرو فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « ان هذا قد قال ما سمعتم ، وانه قد خلع صاحبه ، وانى قد خلعته كما خلعه ، وأثبت صاحبى معاوية فانه ولى عثمان بن عفان والطالب بدمه ، وهو أحق الناس بمقامه » .

★ وذكر ابن جرير أن شريح بن هانىء ـ مقدم جيش على ـ وثب على عمرو بن العاص فضربه بالسوط وقام اليه ابن لعمرو فضربه بالسوط.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢٨٢ ج ٧ مجلد ٤ .

وتفرق الناس فى كل وجه الى بلادهم ، فأما عمرو وأصحابه فدخلوا على معاوية فسلموا عليه بتحية الخلافة ، وأما أبو موسى فاستحيى من على فذهب الى مكة ، ورجع ابن عباس وشريح بن هانى الى على فأخبراه بما فعل أبو موسى وعمرو ، فاستضعفوا رأى أبى موسى وعرفوا أنه لا يوازن عمرو بن العاص (٢) .

★ وبعد أن اكتشف على رضى الله عنه ما كان فى التحكيم من خدعة رفض النتيجة التى أعلنها عمرو بن العاص ، وحدث أن خرجت الخوارج الى النهروان معترضين على نتيجة التحكيم ، وتنادوا بمبدأ يمثل لب عقيدتهم وهو أن الأمر شورى وبأن التبعية لله عز وجل ، واتخذوا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر منهجا ، وأرادوا أن يفرضوا على « على » شروطهم ، وأن يخضعوه لمنهجهم فعرضوا عليه شرطين للصلح حتى يعودوا اليه .. والشرطان مجافيان للصواب ، فأما الشرط الأول : فقد طلبوا منه أن يقر على نفسه بالخطأ بل وبالكفر لتحيره ولشكه ولقبوله التحكيم .

وأما الشرط الثانى : فهو أن يرجع عما أبرم مع معاوية من شروط (٣) .

★ ولم يستجب على لهم فى أول الأمر .. لأن الشرط الأول فيه جور ، وبعد عن الحقيقة فكيف يقر على نفسه بالكفر وهو خليفة المسلمين . وهو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

والشرط الثانى .. كان فيه من وجهة نظر « على بن أبى طالب » غدر ونكث بالعهد ، وذلك مخالف لمنهج الاسلام فى الوفاء بالعهد ، ولكنه بعد ذلك اكتشف خدعة التحكيم ، فرفض نتيجته .. وقام فى الناس بالكوفة خطيبا فقال :

---

(٢) السابق ص ٢٨٣ .

(٣) أنر « الأدب السياسى » د . أحمد الحوفى ص ٨٧ ، ٨٨ .

« الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدثان الجليل الكادح ، وأشهد أن لا اله غيره ، وأن محمدا رسول الله .

أما بعد ، فان المعصية تشين وتسوء وتورث الحسرة ، وتعقب الندم .

وقد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بأمرى ، ونحلتكم رأيى ، فأبيتم الا ما أردتم ، فكنت أنا وأنتم كما قال أخو هوازن .

بذلت لهم نصحى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الا ضحى الغد

ثم تكلم فيما فعله الحكمان فرد عليهما ما حكما به وأنبههما ، وقال ما فيه حط عليهما ثم ندب الناس الى الخروج الى الجهاد فى أهل الشام ، وعين لهم يوم الاثنين يخرجون فيه ، وكتب الى ابن عباس والى البصرة يستنفر له الناس الى الخروج الى أهل الشام ، وكتب الى الخوارج يعلمهم أن الذى حكم به الحكمان مردود عليهما ، وأنه قد عزم على الذهاب الى الشام . فهلموا حتى نجتمع على قتالهم ..

فكتبوا اليه :

« أما بعد فانك لم تغضب لربك . وانما غضبت لنفسك ، وان شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك ، والا فقد نابذناك على سواء « ان الله لا يحب الخائنين » .

★ ولم يلتق الفريقان بعد ذلك ، فقد انحاز الخوارج الى « حروراء » وأقاموا عبد الله ابن الكواء اليشكرى اماما على الصلاة ، وشبث بن ربعى أميرا على القتال ، وبعد عام نصبوا لأنفسهم خليفة اختاروه « عبد الله بن وهب الراسبى الأزدى » المعروف « بذى الثفنات » لأن ركبه قد صارت كثفنات الابل من كثرة السجود ، وكانت بيعته فى

منزل زيد بن حصن . وتمت هذه البيعة فى العاشر من شوال سنة ٣٧ هـ وقال « عبد الله بن وهب الراسبى » بعد أن تمت البيعة له :

« أما والله لا أقبلها رغبة فى الدنيا ، ولا أدعها فرقا من الموت ».

★ وخرجوا من الكوفة وحدانا متخفين ، وافتقدوا النهروان على الجانب الآخر من دجلة ، وهنا عرضوا على خوارج البصرة أن ينضموا اليهم تحت قيادة « مسعر بن فدك التميمى » والتقى بهم « على » فى النهروان ، وكان أشد الناس عليهم أمير حربهم السابق « شبث بن ربعى» الذى رجع الى على ، ولم يكن الخوارج يزيدون على أربعة آلاف ، واستطاع على أن يقضى عليهم وان لم يستأصل شأفتهم .

★ وموقعة « النهروان » تماثل موقعة « كربلاء » عند الشيعة . اذ وجد العامة فى استشهادهم حدثا فذا يثير الاعجاب والحماس ، وكان من نتيجتها أيضا رغبة الخوارج فى التفكير عن خذلانهم لاخوانهم شهداء « النهروان » فقاموا بعدة ثورات صغيرة ، وبعد مواقع كثيرة أصبح الخوارج مضطهدين من الحزب الحاكم « بنى أمية » ومضطهدين من أتباع سيدنا على .

★ وافترقت الخوارج وصارت على أربعة أضرب :

★ الاباضية : وهم أصحاب عبد الله بن أباض ،

★ والصفرية : واختلفوا فى تسميتهم . فقال قوم : سموا بذلك نسبة الى عبد الله بن الصفار ، وقال آخرون : هم قوم نهكتهم العبـــــادة فاصفرت وجوههم ،

★ والأزارقة : وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى .

★ والنجدات : وهم أتباع نجده بن عامر الحنفى .

★ أما « فكر » الخوارج .. فقد أفصحوا عنه فى محاورتهـــــم لعبد الله بن عباس حينما أرسله « على بن أبى طالب » اذ دار بينه وبينهم هذا الحوار .

ابن عباس : ما الذى فقمتم على أمير المؤمنين .

الخوارج : قد كان للمؤمنين أميرا . فلما حكم فى دين الله خرج من الايمان ، فليتب بعد اقراره بالكفر نعد له .

ابن عباس : لا ينبغى لمؤمن لم يشب ايمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر .

الخوارج : انه قد حكم .

ابن عباس : ان الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد : فقال : « يحكم به ذوا عدل منكم .. فكيف فى امامة قد أشكلت على المسلمين » .

الخوارج : لقد حكم على ولم يوص .

ابن عباس : الحكومة كالامامة ، ومتى فسق الامام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما .

الخوارج : بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فان هذا لمن القوم الذين قال الله فيهم « بل هم قوم خصمون » ، وقال : « وتنذر به قوما لدا » (٤) .

★ وأهم الأسس التى تحدد « فكر » الخوارج وآراءهم هى :

أولا : الدين عقيدة وعمل ، فمن لم يقم بما وجبه عليه الدين من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها ، أو لم ينته عما نهى الدين عنه فليس

---

(٤) انظر « الأدب السياسى » د . احمد الحوفى .

مؤمنا ، بل هو كافر أو ملحد ولم يخالف فى هذا الأصل الا النجدات لانهم جعلوا الاصرار على الذنوب ولو صغيرة هو المنافى للايمان ، أما ارتكاب الكبائر من غير اصرار فلا ينافى الايمان .

ثانيا : وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنـــكر والدفاع عن المحـــرمات .

ثالثا : البراءة من الكاذب ، ومن مرتكب المعصية الظاهرة ؛ لانه كافر مخلوفى النار .

رابعا : كفروا مرتكب الكبيرة بآيات كثيرة منها « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ، ومن كفر فان الله غنى عن العالمين » ، فجعل تارك الحج كافرا .

خامسا : الاستمساك بالقرآن الكريم والعمل بأحكامه .

سادسا : كثيرا ما تأولوا الآيات القرآنية والأحاديث النبـــوية ليبرروا مذهبهم ، كما تأولوا « ان الحكم الا لله » بأن المراد « لا حكومة الا لله » وقد سمعهم الامام على يقولون هذه العبارة وقال « كلمة حق يراد بها باطل » .

ثانيا : الآفاق الموضوعية :

يعد شعر الخوارج صورة صادقة تصور عقيدتهم وجهادهم وكفاحهم خير تصوير ، انه شعر تلمع فى قوافيه الســيوف ، وتهدر فى أوزانه حمحمات الخيول ، ان اشعارهم تكر وتفر ، وتقبل وتدبر معا .. كما يقول امرؤ القيس « كجلمود صخر حطه من عل » ، وهم لم يحترفوا الشعر ، ولم يريقوا ماء وجوههم على أعتاب الخلفاء ، وانما اقترن شعرهم بكفاحهم فهم الشعراء الفرسان ، أو الفرسان الشعراء ، وقد أعطوا للشعر صورة جديدة ، ومعنى جديدا ، وشقوا له دروبا فنية جديدة .

ومن أشهر شعرائهم « قطرى بن الفجاءة » ، وعمران بن حطان ، والطرماح بن حكيم ، ومنهم « ابن أبى مياس المرادى ، وأبو الحديد العبدى ، أبو خالد القنانى ، وكان من قعدة الخوارج ، وأبو العيزار ، وأبو المصك الطائى ، وأبو الوازع الراسبى ، والأشل الأزرقى ، والأعرج المعنى وهو « عدى بن عمرو بن سويد » وقد أدرك الجاهلية وعاش فى الاسلام .

ومنهم أيضا « أيوب بن خولى » ، والبهلول بن بشر الشيبانى » ويهيس بن صهيب ، وحارثة بن صخر القينى ، وحبيب بن خدرة الهلالى وحجية بن أوس ، وحرقوص بن زهير ، وحسان بن جعدة ، وحصين بن حفصة السعدى ، وحيان بن ظبيان ، والخيبرى الشيبانى ، وداود بن عقبة العبدى وزياد الأعسم ، وزيد بن جندب ، وسميرة بن الجعد ، وسوادة الحروى ، والضحاك بن قيس .

ومن شاعرات الخوارج أم اليرذون الصفرية ، وأم حكيم ، وأخت حازوق الخارجى ، وأم الجراح العدوية ، وأم عمران بن الحارث الراسبى ، والجديعاء امرأة أبى حمزة الخارجى (٥) .

وأهم الآفاق الموضوعية التى حلق فيها شعراء الخوارج وتمخضت عن تجاربهم هى :

١ ـ التمسك بالعقيدة هو المحور الذى تدور فى فلكه التجارب الشعرية .

٢ ـ الحزن الملتهب ورثاء الشهداء .

٣ ـ النزعة التأملية والاستعداد للموت .

---

(٥) انظر : ديوان الخوارج : جمعه وحققه د . نايف محمود معروف ـ دار السيرة : بيروت ط ١ ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

٤ ـ التمرد على المذهب والردة عنه .

٥ ـ محاربة النزعة العصبية .

٦ ـ نزعة التقارب بين الخوارج وبين المذاهب الأخرى .

٧ ـ نزعة الشكوى والاحساس بالهزيمة .

٨ ـ الهجاء المذهبى ومحاوره .

١ ـ التمسك بالعقيدة هو محور التجارية الشعرية :

ان عقيدة الخوارج كانت منطلق رؤيتهم الشعرية ... ، ولا يخفى على كل صاحب منهج سوى فى عقيدته ما كان عليه الخوارج من تطرف فى أحكامهم ، ومن تطرف فى تصوراتهم ومنهجهم وبرغم ذلك فقد فاضت شاعريتهم بأصدق التجارب الثرية ، فهم مجاهدون بالسيف والقلم ، أو باللسان والسنان ، وتتضح كل تجاربهم بالدفاع عن العقيدة والتمسك بها ، فهم فى رثائهم لا تلهيهم أحزانهم عن الدفاع عن عقيدتهم ، وهم فى غمرة حماسهم وانفعالاتهم ، واحساسهم بالشجاعة والقدرة القتالية لا يغفلون عن الطاقة التى شحنتهم بهذا الحماس ، ويقرون بأن العقيدة التى انتهجوها هى الدافع والمحرك .

والتمسك بالعقيدة والدفاع عنها تتعدد مظاهره ومنها :

أ ـ الروح الدينية المتحفزة الثائرة :

وشجاعة الخوارج كانت تنبع من شعور بالخوف من الله ، فهم برغم تطرفهم فى أحكامهم كانوا على تقوى من الله ورضوان ، ومنهم من كان يطيل السجود حتى تصبح ركبه كثفنات الابل ، ومنهم من يبس لحمه وأصبح هيكلا من المبالغة فى العبادة .

ويصف عمرو بن الحصين مولى تميم تقوى الخوارج وشجاعتهم قائلا :

متأهلين لكل صالحـــــة ناهين من لاقوا عن النكـــــر
صمت اذا احتقروا مجالسهم وزن لقول خطيبهم وقـــــر
الا تجيئهـــــم فانهـــم رجف القلوب بحفرة الذكـــــر
متأوهـــون كان جمر عضى للخوف بين ضلوعهم يســـرى
تلقـــــاهم الا كانهـــم لخشوعهم صدروا عن الحشـــر
وهم مساعر فى الوغى رجح وخيار من يمشى على العفر (٦)

والأوصاف السابقة تعطى للخوارج سمة العباد الذين لا يعتكفون فى المساجد فى عزلة عن الحياة أو الجهاد ، ولكنهم يجمعون بين التقـــوى والشجاعة ، فهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » انهم فى خوفهم من الله يصدرون تأوهات كأنها نيران تسرى بين ضلوعهم ، وهم يجأرون الى الله ، وهم يصرخون فى وجه العدو بطشا وقوة وعزة ومنعة ، وهم يرفعون أصواتهم الى الله بالدعاء شعورا منهم بالاحتياج الى الله فهو النصير والمعين .

و « عيسى بن فاتك » (٧) يقول حين عزله أصحابه لذمه أهل السلطان :

أخاف عقاب الله ان مت راضيا بحكم «عبيد الله» (٨) ذى الجور والغدر
وأحذر أن ألقى اللهى ولم أرع ذى البغى والالحاد فى جحفل مجر (٩)

---

(٦) ديوان الخوارج ص ١٤٣ - ١٤٥ .
(٧) أنظر نسب « عيسى بن فاتك » وترجمته فى معجم الشعراء ، والكامل للمبرد ، وأنساب الأشراف للبلاذرى .
(٨) « عبيد الله » هو عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان .
(٩) ديوان الخوارج ص ١٥٣ .

فمصدر الخوف والحذر عند الشاعر ليس الرهبة ، وليس النفور من الموت ، ولكنه الخوف من مقابلة ربه ، لم يخف أهل البغى والالحاد ، وهو يخاف عقاب ربه ان رضى وسلم بحكم الأمويين المتمثـــــل فى « عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان » .

وهو فى خاطرة شعرية أخرى يقر أن الاسلام أبوه ، ويرفض كل دعاوى العصبية الجاهلية التى شوهت المجتمع الاسلامى فى العصر الأموى ، واحيت التقاليد البالية التى محاها الاسلام بتعاليمه ومساواته بين الناس أجمعين .

يقول ابن فاتك :

أبى الاســـلام لا أب لى ســـواه ... اذا فخـــروا ببكـــر أو تميـــم
كلا الحيين ينصر مدعيـــــــه ... ليلحقه بذى الحسب الصـــميم
وما حسـب ولو كرمت عـــــروق ... ولكن التقى هو الكـــــــريم

ولا يخفى تأثر الشاعر هنا بالبيان القرآنى فى البيت الأخير ، والأبيات الثلاثة فى رؤيتها تنبع من مفهوم الآية القرآنية « ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

و « أبو بلال مرداس بن أدية » كان مجتهدا كبيرا ، وانتحلته الشيعة والمعتزلة لتدينه وصحة عبادته ، وشهد « صفين مع على وأنكر التحكيم ، وشهدا النهر ، ونجا فيمن نجا » (١٠) ، انه يعزف على قيثارة العقيدة لحنه المنبعث من صدق تجربته ، ويعلن أنه يضحى بكل ما فى الحياة فى سبيل عقيدته ، حتى ما ينتاب النفس من فزع وقلق من الموت ، وبخاصة اذا كان الأعداء يمثلون بالقتلى .

---

(١٠) أنظر : الكامل للمبرد ، وتاريخ الطبرى ، وديوان الخوارج ص ١٩٤ .

أن « مرداس » لا يعير كل هذه الخواطر الدالة على ضعف النفس البشرية اهتماما ، بل يرسم لوحة شعرية تتوهج بصدق العاطفة ، وحرارة الانفعال ، وترتكز على أساس متين من منهجهم الذى ارتضوه لأنفسهم : يقول مؤكدا انتماءه للعقيدة ومفضلا هذا الانتماء على انتماء الحسب و لنسب مصورا موته فى ساحة النضال من أجل العقيدة :

ما أن نبالى اذا أرواحنا خرجت ... ماذا فعلتم بأجساد وأوصال
نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا ... تحت العجاج كمثل الحنظل البالى
انى امرؤ باعثى ربى لموعده ... اذا القلوب هوت من خوف أهوالى
وادت الأرض منى مثلما اخذت ... وقربت لحساب القسط أعمالى
ونفسى ظنون ولست الدهر آمنها ... من بعد كعب وطواف وغسال
من كان من أهل هذا الدين كان له ... ودى وشاركته فى تالد المال
الله يعلم انى لا احبهم ... الا لوجهك دون العم والخال

ب ـ تصوير العقيدة فى ظل الرؤية الاجتماعية الذاتية :

ومن ظواهر التمسك بالعقيدة : أن يصوغ بعض الشعراء تصورهم لعقيدتهم فى ظل رؤية اجتماعية ، ومنهم الشاعر « يزيد بن حبناء » وهو ابن عمرو بن ربيعة بن أسيد من بنى حنظلة بن مالك بن زيد مناه ، وكان من الأزارقة (١١) » .

هذا الشاعر يصوغ تمسكه بعقيدته فى ظل رغبة اجتماعية ذاتية ، حيث يعلن أن مظاهر الحياة الزائفة وبريقها الخداع لا يغرى سوى قصار النظر ، وضعاف النفوس ، ولا يسوق هذه الحقائق فى نظم جاف ، بل تأتى فى سياق تجربة شعرية ذاتية وينطلق من أسرها الى فضاء العقيدة الضاحى .

---

(١١) انظر فى ترجمته « الأغانى للأصفهانى » ج ١٥ ص ٣١٥ ، والكامل للمبرد ، وديوان الخوارج ص ٢١٢ .

« فام الغمر » ويبدو أنها زوجه تعيره لشيبه وتهزأ به ، فيصور قيمه السامية فى الأبيات التالية المرصعة بالحكمة الدالة المنسجمة مع سياق التجربة يقول :

انى هزئت من أم الغمراذ هزئت ... بشيب رأسى وما بالشيب من عار
ما شقوة المرء بالاقتار يقتره ... ولا سعادته يوما باكثار
ان الشقى الذى فى النار منزلة ... والفوز فوز الذى ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لى ... لوم العشيرة أو يدنى من النار
وخير دنيا ينسى شر آخرة ... وسوف ينبئنى الجبار أخبارى
لا أقرب البيت أحبو من مؤخرة ... ولا أكسر فى ابن العم أظفارى
ان يحجب الله أبصارا أراقبها ... فقد يرى الله حال المدلج السارى

وفى تجربة شعرية مشابهة تلومه امرأته على عدم اعطائها الهدايا فيوضح لها موقفه ومنهجه فى الحياة مبينا أن حياته تدور فى فلك الكفاح نهارا والعبادة ليلا ... يقول :

دعى اللوم ان العيش ليس بدايم ... ولا تعجلى باللوم يا أم عاصم
فان عجلت منك الملامة فاسمعى ... مقالة معنى بحقك عالم
ولا تعد لينا فى الهدية انما ... تكون الهدايا من فضول المغانم
فليس بمهد من يكون نهاره ... جلادا ويسمى ليله غير نائم
يريد ثواب الله يوما بطعنة ... غموس كشدق العنبرى بن سالم

وأبو خالد القنانى يرد على « قطرى بن الفجاءة » ، حين طلب منه الخروج للقتال ، وكان من « قعد » الخوارج ، الذين لا يخرجون للقتال ، ومن أسبابه عدم خروجه خوفه على بناته الضعاف يقول :

نقد زاد الحياة الى حبا ... بناتى انهن من الضعاف
أحاذر أن يذقن البؤس بعدى ... وأن يشربن رنقا بعد صاف
وأن يعرين ان كسى الجوارى ... فتنبو العين عن كرم عجاف
وأن يضطرهن الدهر بعدى ... الى جلف من الأعمام جاف

ولولاهن قد سومت مهرى وفى الرحمن للضعفاء كاف
تقول بنيتى أوص الموالى وكيف وصاة من هو عنك خاف
أبانا من لنا ان غبت عنا وصار الحى بعدك فى اختلاف (١٢)

وبرغم مخالفة أبى خالد القنانى لنزعة الاقدام عند الخوارج فان المتأمل لأبعاد التجربة الشعرية يلمس الصدق الفنى ، والصدق الواقعى ، فالعاطفة هنا فى أسمى حالات التوهج والصدق ، والمشاعر نابعة من الاحساس بالقلق على مستقبل أبناء الشاعر من بعده ، ومما يعمق هذا الشعور أن ذريته من البنات وهن فى حاجة الى راع ، ولذلك يقول الشاعر مبعدا عن نفسه تهمة الجبن والاحجام :

ولولاهن قد سومت مهرى وفى الرحمن للضعفاء كاف

ويصور الشاعر مشهدا من حياة بناته بعده تصويرا يؤكد قلقه وخوفه على بناته وهو يجسم هذا القلق فى هذا المشهد من خلال المفارقة التصويرية والتعورية ، فهو يخشى أن تعرى بناته وهن حرائر ، وفى الوقت نفسه تنعم الجوارى بالكسوة ، ويخشى الشاعر أن تدفع الحاجة ببناته الى أحد الأعمام وهو لا يراعى القرابة ولا يصل الرحم اذ هو غليظ خشن الطباع ، واذا كان العم على هذه الصورة القاسية فكيف تكون صورة الغريب ، وكيف يكون مسلكه معهن ؟

وقد كثف الشاعر كل مشاعره فى البيت الأخير على لسان ابنته :

أبانا من لنا ان غبت عنا وصار الحى بعدك فى اختلاف ؟

جـ ـ الثورة والاقدام والتضحية فى سبيل العقيدة :

وهذا المعلم من معالم الرؤية الشعرية عند الخوارج يعد لب منهجهم فهم قد أعلنوا فى بدء حركتهم التمرد ، واتفقوا على قتل على بن أبى

---

(١٢) ديوان الخوارج ص ١٢ - ١٣ .

طالب ومعاوية ، وعمرو بن العاص وهم بهذا يعلنون عمليا خطتهم ومنهجهم المتمثل فى مواجهة المخالفين لهم بلغة السيف .

وهذا المبدأ يفصح عنه « معاذ بن جوين الخارجى » حين حبس « المغيرة بن شيعة » جماعة من الخوارج سنة ٤٣ ثلاث وأربعين من الهجرة ، فقد نادى الخوارج وسماهم « الشراة » قائلا :

ألا أيها الشارون قد حان لامرىء ... شرى نفسه لله أن يترحلا
أقمتم بدار الخاطئين جهالة ... وكل امرىء منكم يصاد ليقتلا
فشدوا على القوم العداة فانما ... اقامتكم للذبح رأيا مضللا
ألا فاقصد وايا قوم للغاية التى ... اذا ذكرت كانت أبر وأعدلا
فا ليتنى فيكم على ظهر سابح ... شديد القصيرى ذراعا ليس أعدلا

فالشاعر هنا يعد حرب بنى أمية جهادا مقدسا ويومىء الى قوله سبحانه . « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . ويطلق على دار الأمويين دار الخاطئين .

ويبدو تحمسه لقضيته حين يأمر أصحابه أن يشدوا على القوم العداة وللقرآن أثره الواضح فى أسلوبه . فهو يستوحى من قوله سبحانه وتعالى « فشدوا الوثاق » بيته الذى يبدأ بقوله : فشدوا على القوم العداة .

والموت عند الخوارج كان مرغبا فى الحماس ودافعا للثورة ، ولم يكن عامل خوف . فهذا عمران بن حطان يتخذ من موت الفارس الشاعر أبى بلال مرواس موقفا للحض على الثورة والاستمرار فى النضال ويقول :

لقد زادنى الحياة الى بغضا ... وحبا للخروج أبو بلال
أحاذر أن أموت على فراشى ... وأرجو الموت تحت ذرا العوالى

ولـــو أنى علمت بأن حتفـــى كحتف أبى بلال لم أبـــــال
فمن يك همـــه الدنيـــا فانى لهـــا والله رب البيت قالى

ويعد عمران بن حطان من أشهر شعراء الخوارج ، وكان قبل أن يفتن بمذهبهم مشتهرا بطلب العلم والحديث وكان من مرجئه الخوارج اذ كان من قعدتهم . وكان يفرق بين الايمان والجهاد وذلك على النقيض من قطرى بن الفجاءة شاعر الأزارقة . الذى لم يفصل بين الجهـــاد والايمان وقد تكون ظروف عمران هى التى جعلته من قعدة الخـــوارج لأن عمره طال فضعف عن الحرب . ويجمع شعر عمران كل الخصائص التى ميزت شعر الخوارج كالصدق فى التعبير عن الايمان والصـــلابة فى اعتناق الرأى والدفاع عنه والبساطة فى تصوره يقول مهاجما الجنود المرتزقة الذين يحاربون فى غير اقناع ولا يحاربون :

فلو بعثت بعض اليهود عليهـــم يؤمهم أو بعض من قـــد تنصـــرا
لقالوا رضينا ان أقمت عطـــاءنا واجريت ذاك الفرض منبركسكرا

وقد أشاد بشاعريته الفرزدق والأخطل وهما من كبار الشعراء فى ذلك الوقت . ووصف الأخطل شعره بالصدق ، ورأى الفرزدق أنه اختط طريقا عير طريق الشعراء (١٣) .

وقطـــرى بن الفجـــاءة :

اشهر فرسان وقواد وشعراء الخوارج فقد كان فارسا ، وقائدا من أعظم قادتهم ، وكان أديبا من أبرز أدبائهم وهو لهذا أدق صـــورة للخارجى فى العصر الأموى ، والثورة والحماس الدينى فى الصميم من

---

(١٣) انظر العصر الاسلامى د . شوقى ضيف وتاريخ الأدب العربى لبروكلمان ج ١ .

حياة قطرى بن الفجاءة ، فقد صار على الحجاج ولم يأبه بتهديداته وقد نزل الحجاج بنفسه الى ساحة القتال ليظفر بقطرى ولكنه لم ينل مراده ، ثم وكل به المهلب . وتبعه المهلب الى « ارجان » ثم « السروان » واستمر يقاتله هو ومن معه من الخوارج أكثر من عام ، والجأهم المهلب الى « جيرفت » ولم يستطع المهلب القضاء عليه الا حين أوقع الخـــوارج بعضهم فى بعض . ودار القتال بين حزب عبد ربه وحزب قطرى وهما من الأزارقة ، وتغلب عبدربه على قطرى وخرج قطرى الى طبرستان فانفذ اليه الحجام جيشا شاميا يقوده سفيان بن الأبرد ، وتخلى أنصار قطرى عنه وتركه خلصاؤه يهيم فى شعاب طبرستان لا يجد شربة ماء يطفىء بها عطشه ، وقد ساومه بعض أهل طبرستان على شربة الماء ، وقبض فرسه ثمنا لها وتوفى قطرى سنة ٧٨ هـ على أصح الروايات .

وخير مثل على اتجاه قطرى الثائر رده على الحجاج حين بعث اليه رسالة يهدده فيها ويطلب مسالمته فقد أرسل الحجاج اليه الرسالة التالية (١٤) :

---

(١٤) انظر نص الرسالتين بالكامل للمبرد جـ ١ ص ١٨٠ .

بســـم الله الرحمن الرحيم

من الحجاج بن يوسف الى القطرى بن الفجاءة

سلام عليك ، الموحد الله والمصلى عليه محمد عليه السلام

أما بعد ،

فانك كنت أعرابيا بدويا ، تستطعم الكسرة ، وتخف الى التمرة ، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق واعترضت على كتاب الله ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارجع عما أنت عليه بما زين لك ، وادعنى فقد آن لك .

واذ برد قطرى أعنف وأقسى من رسالة الحجاج ، يدفعه الى ذلك ايمانه الراسخ بعقيدة الخوارج ويقوى من عزمه شجاعته الفائقة ، وكتب الى الحجاج الرد التالى :

من قطرى بن الفجاءة الى الحجاج بن يوسف

سلام على من اتبع الهدى .

ذكرت فى كتابك انى كنت بدويا أستطعم الكسرة وأبدر الى التمرة، وبالله لقد قلت زورا ، بل الله ينصرنى من دينه ما أعماك عنه ، اذ أنت سائح فى الضلالة ، غرق فى غمرات الكفر ، وذكرت أن الضرورة طالت ، فهلا برز لى من حزبك من نال الشبع ، واتكأ فاتدع ، أما والله لئن أبرز الله لى صفحتك واظهر لى صلعتك لتنكرن شيعك ولتعلمن أن مقارعة الأبطال ليست كتسطير الأمثال .

وقصيدة قطرى التى يواجه بها نفسه ويتحداها من معتقده فى الحياة وهى انها لا تعز بغير دين ، والمرء مبدؤه لا حياته .

يقول مخاطبا نفسه فى حماسة متوهجة وعقيدة ملتهبة وشجاعة متوقدة وقد صارت قصيدته مضرب الأمثال فى الشجاعة ولها من الذيوع والانتشار ما يفوق أروع القصائد على طول امتداد تاريخ الشعر العربى يقول :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع (١٥)

٢ ـ الرثاء وتصويره لعاطفة الحزن الملتهب ونزعة التحدى :

واتجه شعراء الخوارج الى رثاء الشهداء من الخوارج وقد قتل منهم الكثير والكثير وقد رثى عمران بن حطان أبا بلال مرداس رثاء حارا فيه عاطفة صادقة ، واحساس جياش فقد قتل أبو بلال مرداس غدرا وهو يصلى هو وأصحابه ، وذلك حدث بعد هزيمته للقعقاع بن عطية الباهلى وأسره ، والعفو عنه ، ثم أسره ثانية بعد أن حمل عليهم فهزمه قوم أبى بلال مرداس بقيادة حريث بن حجل السدوس ، وكهمس بن طلق الصريمى .

وقد أسر القعقاع فى هذه الموقعة وجاء وقت الصلاة ، صلاة يوم الجمعة ، فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا . قالوا : لك ذاك ، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة ، فسرع « عباد » ومن معه من أتباع عبيد الله بن زياد ، والحرورية ، بالخوارج مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبى بلال .

---

(١٥) أنظر حماسة أبى تمام ص ٢٩ ، والفرق الاسلامية فى الشعر الأموى ٦٣٥ ـ ٦٣٦ .

وتروى الشراة « الخوارج » أن مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فارنا آية .

قال : فرجف البيت وقال آخرون : فارتفع السقف وتاثرا بهذا الموقف وتصويرا لهذا الاستشهاد يقول عمران بن حطان :

يا عين بكى لمرداس ومصرعه ... يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى ... فى منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما شربت بكاس دار أولها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس (١٦)

ولأبى بلال مرداس أبيات فى رثاء الشهداء منها قوله :

أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ... ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا
أحب بقاء أو أرجى سلامه ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى الاقى أولئكا

وقد رثى « حسان بن جعده » « بسطام البشكرى » حين قتله مسلمة بن عبد الملك . رثاء فيه اشادة بشاعة الخوارج واقدامهم ، وفيه بشرى لهم بالجنة فى غرف من فوقها غرف مبنية . يقول :

يا عين اذرى دموعا منك تسجاما ... وأبكى صحابة بسطام وبساطاما
فلن ترى أبدا ما عشت مثلهم ... أنقى وأكمل فى الأحلام أحلاما
بسيدهم قد تاسوا عند شدتهم ... ولم يريدوا عن الأعداء احجاما
حتى مضوا للذكى كانوا له خرجوا ... ورثونا منارات وأعلاما
انى لا علم أن قد انزلوا غرفا ... من الجنان ونالوا ثم خداما
أشقى الاله بلادا كان مصرعهم ... فهيا سحابا من الوسمى سجاما

---

(١٦) الكامل ص ٢٥٤ - ٢٥٦ .

وحزن الخوارج ليس حزنا هاربا من ساحة النضال ، بل هو حزن يدفع الى الغضب ، والغضب يدفع الى الأخذ بالثار ، وانتصار المبدأ وهو الحزن الذى تنبثق منه اشرقات الأمل ، وقذائف الحق نقبسه من بيت الشاعر الذى يعلن فيه أنهم الشهداء وما زالوا منارات للحق والهـــدى . يقـــــول :

بسيدهم قد تاسوا عند شدتهم ولم يريدوا من الاعداء احجاما

ويدعو الاله أن يعم الرخاء البلاد وفى ذلك ايمان بقيمة الحيـــاة يقـــــول :

اسقى الاله بلادا كان مصرعهم فيها سحابا من الوسمى سجاما

واخت « حازوق الخارجى » (١٧) ترثيه رثاء حزينا .. لكنه حزن ملتهب ، ووجدانها تمزقه الآلام ، وليس هذا تضخيما للحدث أو مبالغة فى الاستجابة للموقف ، وانما الطريقة التى قتل بها « حازوق » تدعو للأسى ، وتفجر الحزن فى النفس ، فما بال أخته فقد كان « حازوق أحد ولاة نجده » الحنفى ، على احدى مقاطعات النجدية فى جهات الطائف فلما وقع الاختلاف بين نجده وأصحابه ، اجترأ الناس على عماله ، فهرب الحازوق فطلبوه بالطائف فهرب ، فلما صار بين الجبال اذ قوم يطلبونه فرموه بالحجارة من رؤوسها فجعل يقول :

ويلكم لا تقتلونى قتل المرجومة ، فلم يقلعوا عنه حتى قتلوه ..

وتصور أخته هذا الموقف المفجع قائلة :

أعينى جودا بالدموع على الصدر على الفارس المقتول فى الجبل الوعر
فان تقتلوا الحازوق وابن مطرف فانا قتلنا حوشـيا وأبا حشـــر

---

(١٧) أخوها « حازوق » أحد ولاة « نجدة الحنفى » على احدى مقاطعات النجدية فى جهات الطائف .

اقلب عينى فى الركاب فـلا أرى حزاقا بعين كالحجار من القطـر
ومن يغنم انعام الوشيك ولاحقـا وقتل حذاق لا يزل عالى الذكـر
تحاوره أسياف قوم تعـــــودوا قراع الكماة لاختوس ولا ضبـر

فالعاطفة هنا فى قمة الحزن ، ولا يخفى تاثر الشاعر بالخنساء فى رثاء أخيها « صخر » حيث تقول فى مطلع قصيدة لها :

اعينى جودا ولا تجمـــدا الا تبكيان لصـــخر الندى

وبرغم هذا الحزن فان نزعة التشفى والقصاص لا تغيب عن وجدان الشاعر ومخيلتها مهما تكاثفت غيوم هذا الحزن على قلبها ، وهى فى غمرة حزنها تتذكر انها أخذت بثارها من قبل وايضا تتوعد بانهـا لن تترك دمه يضيع هدرا ، فتقول لقاتلى أخيها انا من قبل انزلنا بكـــم الفجيعة فنحن السباقون للمجد والنصر ، وفى نهاية هذا الرثاء تفصح عن حزنها الملتهب وعن عزمها الأكيد على الأخذ بثأر أخيها .. تقـــول فى نحد واصرار :

فان لا أنل من دوس ثأرى بفتيـة مصاليت (١٨) لم يكبرهم حدث الدهر
فان قريشا كان مقتـــل حاذق بأيديهم فاطلب به قاطن الحجر (١٩)
ففى قتلهم مثل الذى نال من حظى بقتل حذاق فى العلاء وفى الذكر (٢٠)

واذا كانت أخت « حازوق الخارجى » ترثى أخاها بهذه المشاعر الأسيانة التى لا تخلو من نزعة الثأر . فان « أم عمران بنت الحارث الراسبى » ترثى ابنها « عمران » وكان احد قادة الخوارج الأزارقة ، وبرغم فداحة الاحساس بالفجيعة تجاه فقد الأبناء ، فاننا فى رثاء أم عمران لابنها لا نجد أثرا لهذا الاحساس ، بل يفاجئنا رثاء يتفق وعقيدة

---

(١٨) مصاليت : شجعان
(١٩) الحجر ـ مدينة باليمامة .
(٢٠) ديوان الخوارج ص ١٨ .

الخوارج ، فلا لون للاحساس بالفجيعة ، وانما نكاد نرى مشاعر الأم وهى تمضى كالرمح الى صدر الأعداء ، فموت ابنها كان أمنية لها فى سبيل العقيدة ، وقد تحققت هذه الأمنية ، فان الموت فى رؤيتها الشعرية وفى منظورنا العقدى واحة أمان ، وشهادة فوز ووسام مجد : تقول :

الله أيد عمرانا وطهره ... وكان عمران يدعو الله فى السحر
يدعوه سرا واعلانا ليرزقه ... شهادة بيدى ملحادة غدر
ولى صحابه عن حر ملحمة ... وشد عمران كالضرغامة الهصر
أعنى ابن عمرة اذ لاقى منيته ... يوم ابن ناب يجابى عورة الدبر

وحيث نتأمل بنات التجربة الشعرية هنا نجد أنها تجسد هذا الشعور الثائر الصامد أمام شبح الموت ، فهى تبدأ رثاءها بلفظ « الجلالة» وتذكر الفعل « أيد » و « طهر » وكأن الموت فى سبيل العقيدة انتصار على الحياة بكل ما تغرينا به من بريق .

وقولها « يدعو الله فى السحر » سرا واعلانا ، ليرزقه شهادة ، والأثر القرآنى واضح فى اختيار الألفاظ وفى الوصف ، فقولها « يحامى عورة الدبر » فيه تأثر بقوله سبحانى فى « سيهزم الجمع ويولون الدبر »

وفى رثاء « الجعدى بن آبى صمام الذهلى » لا يصبح الموت أمنية فقط بل الشهيد يبيع نفسه لربه ، والخوارج أطلقوا على أنفسهم « الشراة » لأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم فى مقابل الجنة ، وهذا المعتقد يصوره « الجعدى » فى رثاء « مطر بن عمران بن شور الخارجى » ، وفى رثاء « صالح بن مسرح » ، وفى رثاء الخوارج الذين قتلوا يوم « دقوقاء » .

يقول فى رثاء (مطر بن عمران » :

أرى مطرا قد باع لله نفسه ... بما ظل يعطى للشراة ويوعد
فاصبح قد نال الكرامة لها ... ربما كان يسعى فى ايقاها وتجهد
فان يك قد لاقى مقادير قومه ... فقد بان منا الخاشع المتعبد

وحرصا من الشاعر على ترسيخ فكرته وتأكيد معانيه نراه يكرر « قد » أربع مرات فى الأبيات الثلاثة السابقة ـ وهى تؤكد تحقيق المعـــانى التى أرادها الشاعر (قد باع لله نفسه ـ قد نال الكرامة كلها ـ قد لاقى مقادير قومه ـ قد بان منا الخارج المتعبد) .

والرؤية السابقة بكل ملامحها تتشكل فى هذه المشاعر التى يرثى بها « الجعدى » صالح بن مسرح .. قائلا (٢١) :

أيا عين فابكى صالحا ، ان صالحا ... شرى نفسه لله يبغى بها الخلدا
وقد كان ذا رأى مبين ورأفـــة ... صفوحا عن العورات يدفعها عمدا
وقد كان فى الحرب العوان يشدها ... ويسعرهابالخيلمحبوكةجردا(٢٢)

وفى رثاء الخوارج الذين قتلوا يوم « دقوقاء » يكرر الشاعر نفسه المعانى السابقة ، ولكن تغلب عليه عاطفة الحزن مع احتسابهم عند الله . يقـــــول :

شباب أطاعوا الله حتى أحبهـم ... وكلهم شـار يخاف ويطمـــع
بنفسى قتلى فى دقوقاء غـــودرت ... وقد قطعت منهـا رءوس وأذرع
لتبك نساء المســلمين عليهـــم ... وفى دون ما لاقين مبكى ومجزع

ومن اتجاهات الرثاء عند الخوارج « رثاء الشاعر نفســه قبل الموت » .

ويبدو هذا النهج عند « الطرماح بن حكيم » حيث يصور جثمانه بعد الموت ولا يجزع من ذلك ، ولا يطلب كعادة الشعراء أن يدفن فى القبر ، وأن يزوره الأحباب ويترحموا عليه ، وأن يندبه النساء وينحن عليه .. انه ينادى ربه فى ضراعة وشجاعة وارادة قوية .

---

(٢١) ديوان الخوارج ص ٣٩ .
(٢٢) المحبوكة : المحكمة الخلق ـ الجرد : القليلة الشعر .

فيارب ان حانت وفاتى فلا تكن
على شرجع (٢٣) يعلى بدكن المطارف (٢٤)

ولكن احن يومن شهيدا وعصبة
يصـــابون فى فج من الأرض خـــــائف

عصائب شتى يؤلف بينهـــــــم
هـــــدى الله نزالـــون عند المـــواقف

اذا فارقوا دنيـــاهم فارقوا الأذى
وصاروا الى موعـود ما فى المصـــــــاحف

فاقتل قعصا (٢٥) ثم يرمى بأعظمى
كضغث الخلى بين الرياح العـــــــواصف

ويصبح قبـــرى بطن نسر مقيلة
بجو الســـماء فى نسور عـــوائف (٢٦)

وحين نوازن بين هذا الرثاء للنفس وبين رثاء بعض الشـــعراء لأنفسهم نجد أن « الطرماح بن حكيم » يكاد يتفرد بهذه الرؤية التى يتمنى فى دائرتها أن يقتل « قعصا » أى سريعا ولا يطلب دفنه بل يوصى أن ترمى أعظمه بين الرياح العواصف كقبضة الحشيش الرطب ، ولا يتمنى قبرا مظللا بالأشجار الظليلة ، بل يتمنى أن تأكله النسور فيصبح قبره بطن النسر ، ان هذه الامنيات والتصورات استهانة بالموت . وايمان بالروح لأن الجسد هيكل لا قيمة له ، وبرغم أن الخوارج يبعد شعرهم عن المنحى الفلسفى لكننا نعثر على فلسفة الحياة عندهم وهى حيـــاة العزة والقوة والايمان .

---

(٢٣) الشرجع : النعش الذى يحمل عليه الميت .
(٢٤) المطارف : أثواب من الخز .
(٢٥) القعص : الموت السريع ، ضغث الخلى : القبضة من الحشيش الرطب .
(٢٦) مقيلة : مكانة ، العوائف : الطيور التى تعاف الوقوع على الماء والجيف .

وحين نوازن بين هذه الرؤية الشعرية المجسدة لذلك الموقف الصارم تجاه الموت وبين رؤية مالك بن الريب التميمى وهو يرثى نفسه يتجلى لنا الفارق الدافع الى الموت ، فمالك بن الريب بزعم انه كان فى صحبة « سعيد بن عثمان بن عفان » حينما سار بجنده فى طريق فارس ، وحين أناخ الركب فى بعض المنازل نزل مالك للقيلولة ، ولما هموا بالرحيل أراد أن يلبس خفه فلسعته أفعى كانت قد اندست فيه ، وحين شعر بالموت يزحف نحوه قال قصيدته فى رثاء نفسه وهو يكاد يقضى أسفا على نفسه وحسرة على عمره وهو صادق كل الصدق فى مشاعره ولكن عاطفته حزينة ، والموت لديه ليس أمنية كما هو لدى « الطرماح بن حكيم » بل يعد شبحا مفزعا ، وواقعا مهولا يقول :

تذكرت من يبكى على فلم أجد ... سوى السيف والرمح الردينى باكيا
وأشقر خنذيذ يجر عنانه ... الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن باطراف السمينة نسوة ... عزيز عليهن العشية مابيا
صريع على ايدى الرجال بقفرة ... يسوون قبرى حيث حم ، قضائيا
ولما تراءت عند مرو منيتى ... وحل بها جسمى وحانت وفاتيا
أقول لأصحابى ارفعوانى لأننى ... يقر بعينى أن سهيل(٢٧)بداليا
فياصاحبى رحلى : دنا الموت فانزلا ... برابية انى مقيم كياليا
أقيما على اليوم أو بعض ليلة ... ولا تعجلانى قد تبن ما بيا
وقوما : اذا ما استل روحى فهيئا ... لى القبر والأكفان ثم ابكيا ليا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعى ... وردا على عينى فضل ردائيا
ولا تحبسانى بارك الله فيكما ... من الأرض ذات العرض أن توسعا لى

والموازنة تزداد جلاء حين يصور مالك بن الريب قبره فى مناجاة يائسة يوجهها الى ام مالك : يقول :

---

(٢٧) سهيل : نجم يطلع من جهة اليمن ، والشاعر يمانى .

اذا مت فاعتادى القبور ، وسلمى ... على الريم اسقيت الغمام الغواديا
ترى جدثا قد جرت الريح فوقه ... غبارا كلون القسطلانى هابيـــا
رهينة احجـــار وترب تضمنت ... قرارتها منى العظام البواليـــا
فيا راكبـــا اما عرضت فبلغن ... بنى مالك والريب أن لا تلاقيـــا
وبلغ أخى عمران بردى ومئـــزرى ... وبلغ عجوزى اليوم ان لا تدانيا (٢٨)

وتجربة الرثاء فى شعر الخوارج تتجه الى تحدى النفس حين تفرق من الموت وتهاب القتال والشاعر « عمران بن حطان » يخاطب نفسه ، ويتوجه بالخطاب الشعرى الى كل نفس يطوف بها هاجس الخـــوف والحذر ، يقول فى رثائه لأبى بلال :

ان كنت كارهة للموت فارتحلى ... ثم اطلبى أهل ارض لا يمـــوتونا
فلست واجدة ارضا بهـــا بشر ... الا يروحون أفواجا ويغـــدونا
الى القبـــور فما تنفك اربعـــة ... تدنى سريرا الى لحد يمشونا (٢٩)

والرثاء عند الخوارج قد يتجاوز دائرة مذهبهـــم حين يرون فى الشخص الذى يرثونه القيم التى ينشدونها ، وهم برغم اختلافهم المذهبى مع بنى أمية الى حد الجهر بالعداء ، واشعال الحروب نرى أحد شعرائهم وهو « محارب بن دثار الدهلى » يرثى « عمر بن عبد العزيز » ، وقد اورد ابن كثير أبياته فى كتابه « البداية والنهاية » ، والرثاء يغلب عليه الاحساس بالفجيعة والحسرة ، لأن عمر قد نشر العدل ، وأقام شريعة الحق ، وأرضى بمسلكه نزعة الخوارج فى اقامة حكم اسلامى عادل ، وفى سيرة « عمر بن عبد العزيز » ما يؤكد هذا فقد عد خامس الخلفاء الراشدين ومن دلائل عدله وانصافه أن بعض شعراء الشيعة مدحه ورثاه مثل كثير عزه (٣٠) وغيره .

---

(٢٨) جمهرة اشعار العرب ص ٢٧٠ - ٢٧٢ : أبوزيد القرشى .
(٢٩) ديوان الخوارج ص ١٣٢ .
(٣٠) أنظر ديوان كثير عزة ص ٣٣٣ وانظر « شعر الدعوة الاسلامية فى العصر الأموى » ج ٢ ص ١٢٠ .

يقول محارب بن دثار :

لو أعظم الموت خلقا أن يواقعه ... لعدله لم يصبك الموت يا عمر
كم من شريعة حق قد نعشت لهم ... كادت تموت وأخرى منك تنتظر
يا لهف نفسى ولهف الواجدين معى ... على العدول التى تغتالها الحفر
ثلاثة ما رأت عينى لهم شبها ... تضم أعظمهم فى المسجد الحفر
وأنت تتبعهم لم تأل مجتهدا ... سعيا لهم سنن بالحق تفتقر
لو كنت أملك والأقدار غالبة ... تأتى رواحا وتبيانا وتبتكر
صرفت عن عمر الخيرات مصرعه ... بدير سمعان لكن يغلب القدر (٣١)

٣ ـ النزعة التأملية والاستعداد للموت :

النزعة التأملية بملولها الفكرى تعد لبنة صغيرة فى البناء الشعرى الكبير لشعراء الخوارج وذلك لأن شعرهم صورة لحركتهم وجهادهم ، فالشعر لديهم ليس تفننا جماليا ، وانما هو رصد مباشر لأحداث حياتهم المشتعلة ، وتصوير حى بعيد عن الخيال الجامح لما يقومون به من معارك واحتساب لأرواحهم التى وهبوها للدفاع عن معتقدهم ، ونزعة التأمل عندهم تمتزج بسرعة الزهد والتجرد والتسامى فوق الرغبات الدنيا ، والتطلع الى الفوز بالشهادة .

و « الطرماح بن حكيم » وهو كما يقول صاحب « الأغانى » يعد من فحول الشعراء الاسلاميين وفصحائهم ، ينشىء قصيدة مطلعها (٣٢) :

طال فى رسم مهدد ربده ... وعفا واستوى به بلده (٣٣)

---

(٣١) البداية والنهاية لابن كثير ص ٢١٧ : المجلد الخامس ج ٩ ، وانظر ديوان الخوارج ص ١٩١ .
(٣٢) ديوان الخوارج ص ٨٤ .
(٣٣) مهدد : اسم امرأة ، ربده ، اقامته ، وانظر ديوان : « الطرماح بن حكيم » .

وهذه القصيدة تمثل نزعة الزهد عند الخوارج ، وهى تأملات فى الحياة وفى الموت ، وتلخص خبرة « الطرماح بن حكيم » وفلسفته فى الحياة ويسوق الشاعر هذه المقدمة التأملية فى مشاهد الدهر ، وهى تؤدى بالانسان الى هاوية الفناء مهما عمر : ويبدى الشاعر عجبه من المتكالب على الدنيا ، ويحارب نزعة الجزع من الموت ، فالانسان كالزرع يحصد فى موعده ويذكر الشاعر الانسان بيوم القيامة ويشير الى خصمى الانسان يوم القيامة وهما رجله ويده ، وهو يشير بهذا المعنى الى قول الله عز وجل : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » .

يقـــــول :

وكذاك الزمان يطرد بالنـــــا ... س الى اليوم : يومه ... وغده
لا يريثان باختلافهما المـــــر ... ء وان طال فيهمـــــا أمـــده
كل حى مســـــتكمل عدة العمـــ ... ـر ومود اذا انقضى عـــــدده

★ ★ ★

عجبا ما عجبت من جامع المـــا ... ل يباهى به ويرتقـــــــده
ويضيع الذى يصيره اللـــــــ ... ـه اليـــه فليس يعتقـــــده
يوم لا ينفع المخـــول ذا الثـــر ... وة خـــلانه ولا ولـــــــد
ثـم يؤتى به وخصماه وسط الـــ ... جن والانس رجلـــه ويـــــده
قل لباكى الأموات : لا بيك للنـا ... س ولا يستنع به فنـــد (٣٤)
انما الناس مثل نابتة الـــــزر ... ع متى يأن يأت محتصـــــده

ويصف « الطرماح » أصحابه من الخوارج وصفا يضفى عليهم صبغة التأمل والتفكر فى ملكوت السموات والأرض ، فهم كما قال أحد الأتقياء « أسهرت ليلى أظمأت نهارى » وهم كما صورهم الشاعر يقومون الليل، ويكثرون من الحنين الى الجنة ، ويكثرون الأنين خوفا من النار حتى تكاد قلوبهم تنطلق من صدورهم .

---

(٣٤) يستنع : يتمادى . الفند : الحمق والباطل .

يقول مسميا الخوارج « الشراة » وهو لقب غلب عليهم من شرى بمعنى غضب لأنهم شروا أنفسهم أى باعوها لله تعالى :

لله در الشـــــراة أنهـــم ... اذا الكرى مال بالطـــلا أرقـوا
يرجعـــــون الحنين أونـــة ... وان عـلا ســاعة بهم شـــهقوا
خـــوفا تبيت القـلوب واجفـــة ... تكاد عنهـــا الصـــدور تنفلق
كيف أرجىء الحيـــاة بعـــدهم ... وقد قضى مؤنسى فانطلقـــوا
قوم شـــحاح على اعتقـــادهم ... بالفوز مما تخـاف قد وثقـوا

وللطرماح نظرة معتدلة تخالف نظرة « قطرى بن الفجاءة » فهو مذ كان من قعدة الخوارج ولم يكن يكفر المسلمين المخالفين لمنهـــج الخوارج ، وكان يعاشر المخالفين له فى مذهبه ويوادهم ويصادقهم وقد صادق الكميت صداقة شديدة برغم أن الكميت شيعى والطرماح خارجى ، وهذا يشير الى نزعة الطرماح التاملية ، التى تبتعد به عن دوائر التعصب المذهبى .

وقال الجاحظ : لم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح ، وكان الكميت عدنانيا عصبيا ، وكان الطرماح خارجيا من الصفرية وكان الكميت يتعصب لأهل الشام : وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط ، ثم لم يجر بينهما صروم ولا جفوة ولا اعراض ولا شىء مما تدعو هذه الخصال اليه (٣٥) .

وكان الطرماح معتدا بنفسه ويشعر بأن حقه مهضوم وبأن الناس لا يقدرونه حق قدره ، وكان فيه كبرياء وحب للذات يكاد يصل الى ما نسميه فى العصر الحديث بالنرجسية ، ولصفاته الجسمانية أثر فى ذلك السلوك فلقب « الطرماح » غلب على اسمه ومعناه « الطويل القامة » وكنيته ابو نفر ، وأبو ضبيبة .

---

(٣٥) أنظر العصر الاسلامى ـ د . شوقى ضيف والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ .

ولاحساسه بالتفوق على غيره كان لا يشهد لغيره الا نادرا ، ومن ذلك عدم اقراره بالجودة الفنية لذى الرمة ، برغم أن الكميت اعترف بذلك ، وكان لا ينشد الشعر الا جالسا امعانا فى الاعتداد بالذات ، وهو برغم هذه الصفات التى تكاد تنأى به عن مبادىء الخوارج نراه فى كثير من اشعاره خارجيا ، وقد عنى النقاد وأهـــل العلم والأدب بديوانه وبشعره فهو الخارجى الوحيد الذى نطالع له شعرا مجموعا فى ديوان ، ويقول الطرماح معبرا عن موقفه من الموت واستعداده له :

لقد شقيت شـــقاء لا انفطاع له ... ان لم أفز فوزة تنجى من النار
والنار لم ينج من روعاتها احـد ... الا المنيب بقلب المخلص الشارى
او الذى سبقت من قبـل مولده ... له السعادةمنخلاقها البارى(٣٦)

ونزعة التأمل تتضح فى شعر « عمران بن حطان » فقد نشأ على الفقه والورع . وقد ادرك صدرا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحاب الحديث قبل أن يدخل فى مقالة الخوارج .. وقد تعمقته مقـالة الخوارج حتى أصبحت جزءا من نفسه فهو يعيش لها ويعيش بها ويشيد بأصحابها (٣٧) .

وفى بعض الروايات انه « لم يمت حتى رجع عن رأى الخوارج - ولعل ذلك كان تبريرا لتخريج البخارى له (٣٨) » ، وكان من قعـــدة الخوارج الذين لا يخرجون للقتال .

واندلع فى وجدان « عمران » صراع حاد بين تشبثه بالحياة وبين رفضه لها ، انه يرغب فى الحياة تعلقا بزوجه وابنة عمه « جمرة » ، وهو يرفضها انطلاقا من كرهه لما فيها من مفاسد وشرور . وطغيان ومحاربة لمذهب الخوارج .

---

(٣٦) ديوان الطرماح ص ١٤٩ .
(٣٧) انظر « العصر الاسلامى » لشوقى ضيف .
(٣٨) انظر ديوان الخوارج ص ١٠٥ ، وتهذيب ابن حجر ص ٨ ، ص ١٢٨ .

وله أشعار كثيرة تنزع الى التأمل فى الحياة والموت وتصور ما يموج بداخله من صراع حاد ، يقـــول مكررا فى بيت واحد ثلاثة استفهامات مدللا على حيرته ومجسدا لصراعه :

أفى كل عام مرضة ثم نقهـــــة وينعى ولا ينعى،متى ذا؟ الىمتى؟
ولابد من يوم يجىء وليلـــــة يسوقان حتفا راح نحوك أو غـدا

ويتأمل خلق الانسان ، ويكثف هذه الرؤية التأملية فى بيت واحد فيقول :

يراك ترابا ثم صيرك نطفـــة فسواك حتى صرت ملتئم الأسر (٣٩)

وفى هذا البيت اشارة الى قوله تعالى : « خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا » .

ويرصد موقف الانسان من رغباته الدنيوية ، ويتأمل هذا الموقف انطلاقا من قوله سبحانه « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمـــا آتاكم » سورة الحديد آية (٢٣) .

ويرى عمران أن الحياة مزيج من القبض والبسط ، والعطاء والمنع، والسرور والحزن ، يقول :

يأسف المرء على ما فاتـــه من لبانات اذا لم يقضـــــها
وتراه فرحـــــا مستبشرا بالتى أمضى كان لم يمضـــها
عجبـا من فرح النفس بهـا بعـدما قد خرجت من قبضهـا
انا عندى ذاق أحلام الكرى لقريب بعضها من بعضهـــا

ويصور موقفه من الحياة .. وهو موقف الرافض لمغرياتهـــا ، وتصويره يأتى متأثرا بالبيئة البدوية فالحياة ناقة لا لبن فيها .. وهى

---

(٣٩) صيرك : سكنت الهاء لضرورة الشعر - وهى ضرورة تدل على ضعف الصياغة . والاسر معناه « الخلق » .

لا تدوم لانسان مهما تفنن فى التحايل عليها مثل الذى يفعلونه مع الناقة « الجماد » حيث يأتون بخرقة وغيرها تدرج وتدخل فى رحم الناقة ودبرها ويشدون عليها فياخذها غم شديد مثل غم المخاض ، ثم ينزعون الرباط عن عينيها بعد أن يكونوا قد هيأوا لها حوارا ، فتحسبه ولدها وترأمه : ، يقول عمران متأملا صور الحياة وراصدا مصير الانسان :

وليس لعيشنا هذا مهاة ... وليست دارنا هاتا بدار (٤٠)
جماد لا يراد الرسل منها ... ولم يجعل لها درج الظئار (٤١)
وان قلنا لعل بها قرارا ... فما فيها لحى من قدار
لنا الا ليالى هينات ... وبلغتنا بايام قصار (٤٢)
أرانا لا نمل العيش فيها ... واولعنا بحرص وانتظار
ولا تبقى ، ولا نبقى عليها ... ولا فى الأمر نأخذ بالخيار
وما اموالنا الا عوار ... سياخذه المعير من المعار

ويقف عمران « كثيرا عند هذه المعانى » فالناس يتعلقون بالدنيا حتى جياعهم وعراتهم فأف لهم من أشقياء لم يتبينوا الطريق السوى ، ولا يخفى انه يسير على كره منه فى نفس الركب ، وأن قلبه هو الآخر ينطوى منها على شىء من الحب والحرص ، وحرى به أن يرفضها رفضا ، يقول :

ارى اشقياء الناس لا يسامونها ... على انهم فيها عراة وجوع
أراها وان كانت تحب فانها ... سحابة صيف عن قليل تقشع

---

(٤٠) مهاه : بهاء ولمعان ، هاتا : اسم للاشارة الى المؤنثة الحاضرة.
(٤١) الجماد : الناقة التى لا لبن فيها ، الرسل : اللين ، درج جمع درجة وهى خرقة تدرج وتدخل فى رحم الناقة ، الظئار : الخرقة التى تعالج الناقة بها لترأم ولدها .
(٤٢) البلغة : بمعنى البلوغ فى الوقت الذى هو الأجل .

وعلى هذا النحو - كما يقول د / شوقى ضيف - كان « عمران » لا يزال يردد أن الموت سيأتى على كل الأحياء وأن لا مفر منه لكائن ، فالكل فان حتى الموت نفسه ، يقول :

لا يعجز الموت شيء دون خالقه ... والموت فان اذا ما ناله الأجل
وكل كرب امام الموت متضع ... للموت ، والموت فيما بعده جلل

فالموت سيموت فى النهاية ، وهو بذلك كله يعبر عن فكرة الموت التى تلقانا دائما فى شعر الخوارج ، انه موت ينقل الى دار الخلود ، ولذلك ينتظره هائنا به مغتبطا ، وهذا هو شعر عمران دائما فليس فيه سوى عقيدته (٤٣) .

وفى شعره ايضا لا ينقطع هذا الخيط التأملى الموشى بنزعة الزهد ، المحدق فى اسرار الحياة وتقلباتها ووقوع الواهمين فى شركها المخادع ، وسرابها البراق .

ويقول د / عبد القادر القط « وكثيرا ما ينتهى الشعراء الخوارج من حض انفسهم على القتال وطلب الشهادة والاستهانة بامر الحياة ، الى شبه الزهد الخالص بعيدا عن معانى الحرب والفداء ، زهد يتأمل حال الدنيا ومصائر الانسان فيخلص الى الايمان بأن الحياة عرض زائل وان الانسان فيها ظل عابر والا منجى له الا بالاعداد للحياة الباقية الأخرى » .

ثم يقول : « ولا شك أن مثل هذا الشعر يمكن ان يعد طليعة لشعر الزهد فى العصور التالية وبخاصة عند أبى العتاهية » (٤٤) .

وزهد الخوارج يخالف الزهد عند أبى العتاهية .. وعند عامة الزهاد فى العصر الأموى وفيما تلاه من عصور ، « فالزهد فى الحياة

---

(٤٣) العصر الاسلامى - د . شوقى ضيف ص ٣١٠ .
(٤٤) فى الشعر الاسلامى والأموى ص ٣٨٤ - د . عبد القادر القط .

قرين الحرب عند الخوارج ، وهو زهد يدفعهم الى طلب الموت حتى ليسعى الشاعر اليه سعيا وتضيق نفسه اذا طالت به الحياة ولم تكتب له الشهادة فى وقعة من الوقائع . وكثيرا ما يتخذ الشاعر من هذا الأجل الممتد برغم المخاطر آية يحض بها القاعدين عن القتال خشية القتل » (٤٥) .

والرهين المرادى يترجم النزعة الزهدية الايجابية السابقة الى واقع شعرى فهو يواجه نفسه مواجهة الحكيم والخبير بأسرار الحياة ، وتتكشف المواجهة عن اهتدائه الى اليقين الذى يتفق مع نزعة الزهد فى هذه الحياة الفانية ، وهو يجاهد نفسه ويصارعها بغية الموت جهادا فى سبيل ما ذهبوا اليه من معتقد ، واشتياقا الى اقرانه الذين عانقوا الشهادة قبله .

يقول « الرهين المرادى » مناديا نفسه نداء البعيد بأسلوب التحقيق ثم أسلوب النهى والتوكيد (٤٦) :

يانفس قد طال فى الدنيا مراوغتى ... لا تأمنن لصرف الدهر تنغيصا
انى لبائع ما يفنى لباقية ... ان لم يعقنى رجاء العيش تربيصا (٤٧)
اخشى فجاءة قوم ان تعاجلنى ... ولم ارد بطوال العمر تنقيصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا ... حتى الاقى فى الفردوس حرقوصا (٤٨)
وابن المنيح ومرداسا وأخوته ... اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا
تخال صفهم فى كل معترك ... للموت سورا من البنيان مرصوصا

و « الحسن بن عمرو الأباضى » ، وهو أحد الشعراء الأباضية ، يتأمل مسيرة الانسان ويخاطب ذاته عبر مناجاة نفسية متبعا أسلوب

---

(٤٥) السابق ص ٣٨٠ .

(٤٦) انظر كتاب الكامل للمبرد ص ٢٦٢ - ٢٦٣ ، وديوان الخوارج ص ٦٣ .

(٤٧) التربيص : الترقب والانتظار .

(٤٨) حرقوص : هو حرقوص بن زهير السعدى الذى تتولاه الخوارج وتجعله من السلف الصالح عندها .

« التجريد » وهو بهذا المنحى الأسلوبى يجعل من نفسه نموذجا للنفس البشرية المغافلة عن حقائق الوجود ، ومما يميز هذه التجربة انها تأملية توحى بما يريد الشاعر بثه من قيم وافكار حيث لم يرد فيها ذكر الجهاد ولا الاستشهاد ، وانما تتجه الى الحث على التامل والتذكر .

وبخامسة اذا بلغ الانسان سن « السبعين » : يقول :

اذا ما خلت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا ان ما يخفى عليه يغيب
اذا كانت السبعون سنك لم يكن ... لدائك الا أن تموت طبيب
وان امرءا قد سار سبعين حجة ... الى منهل من ورده لقريب
اذا ما انقضى القرن الذى انت منهم ... وخلفت فى قرن فانت غريب (٤٩)

وحين نتأمل هذه الأبيات تأملا فنيا جماليا يكشف عن مكنونها نجد ان الشاعر وظف أسلوب الشرط والجواب فى توصيل مشاعره الهادئة الباحثة عن جوهر الحقيقة ، وأداة الشرط اذا « توحى بتحقيق الحدث وتاكيد الفعل ، وهى موجوده فى البيت الأول والثالث والخامس ، وقد صاغ الأبيات فى ثوب الحكمة الممتزجة بالعاطفة الدينية ، واسلوب النهى والتوكيد يأتى فى البيت الثانى متفقا مع المعنى الذى يحرص الشاعر على توصيله وهو نفى الغفلة عن الله سبحانه ، والتأكيد على عدم خفاء شىء عليه مهما دق فهو « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

واسلوب الشرط مع أسلوب القصر يجتمعان فى البيت الثالث دلالة على واقعية ما يذهب اليه الشاعر من أن سن « السبعين » يصاحبها المرض والضعف ، والموت هو الطبيب الشافى ، والتعبير عن الموت بانه الطبيب يعد من المعانى المبتكرة ، وقد صاغ هذا المعنى بعد فى ثوب شعرى مغاير « المتنبى » فى خطابه الشعرى الى كافور الاخشيدى ، فقال :

---

(٤٩) ديوان الخوارج ص ٥٠ .

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

واحساس الشاعر بالغربة حاد ، وقد جاء ثمرة لتأملاته فى مسيرة الدهر فتفوه بحكمته التى تدل على خبرته السديدة فى أمور الحياة ، وجاءت هذه الحكمة فى اسلوب الشرط وأداته اذا وهى تفيد التحقق ، وفى ذلك تجسيد لغوى لتحقق ما يعتقد الشاعر : اذ يقول :

اذا ما انقضى القرن الذى أنت منهم وخلفت فى قرن فانت غريب

والشاعر « سميرة بن الجعد » (٥٠) يتأمل تقلب الحياة باناسها ، فيسوق التأملات فى معرض التعجب ، وفى النهاية يسلم بأن الأمر كله لله ، يقـــول :

عجبت لحالات البلاء وللدهـــــر وللحين يأتى المرء منحيث لا يدرى
وللناس يأتون الضلالة بعـــــدما أتاهم من الرحمن نور من البـــدر
ولله .. لا يخفى عليـــه صنيعنا حفيظ علينا فى المقام وفى الســفر
علا فوق عرش..فوق سبع ودونه سماءيرىالأرواحمندونهاتجرى(٥١)

ويروى أنه « حين سمع قاضى « قطرى بن الفجاءة » هذا البيت قال لصاحبه « كفرت » الا أن تأتى بمخرج ، فقال عبيدة بن هلال : نعم ، روح المؤمن تعرج الى السماء : فقال القاضى صدقت » (٥٢) .

---

(٥٠) قيل ان اسمه « سبرة بن الجعد » وهو الذى اتخذه الحجاج سميرا له . دون أن يعلم هويته ، فلما حث « قطرى بن الفجاءة » أصحابه على الخروج ، ركب سميره فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى بعد أن خلف للحجاج شعرا يخبره بأمره . (مروج الذهب للمسعودى ٣/٧٦ - ٧٨) نقلا ن ديوان الخوارج ص ٧٠ .

(٥١) ديوان الخوارج ص ٧٢ .

(٥٢) أنظر : الكامل للمبرد ت . محمد أبو الفضل ابراهيم ج ٣ ص ٤١٢ .

٤ ـ التمرد على المذهب والردة عنه :

وهذا الاتجاه فى شعر الخوارج لم يكثر لدى الشعراء الملتزمين بمبادىء الخوارج ، ولكن نشأ عند بعضهم فى ظل ظروف كان الدافع اليها التعصب حينا والخوف أحيانا ، فالتمسك بالمبدأ كان منهج الخوارج الصارم ، فلم يمالئوا احدا ، ولم يناقفوا أحدا ، ولم يمدحوا رغبة فى العطاء وبدافع التكسب ، ولم يتذبذبوا فى مواقفهم مهما كلفهم ذلك ، ولكن شعراء المذاهب الأخرى لم يقصروا فنهم على مذهبهم ، فالكميت شاعر الشيعة ، اضطر الى مدح بنى أمية أخذا بالتقية ، وابن قيس الرقيات شاعر الزبيريين اضطر الى مدح عبد الملك ومدح بنى امية ليسلم من القتل ، وكثير من شعراء المذاهب الأخرى كانوا يخوضون فى فنون شعرية اخرى غير الفن الشعرى الذى التزموا به .

ولقد لقى الخوارج العناء والشقاء فى سبيل عقيدتهم ، فعذبوا وسجنوا ومثل بهم ، واذا حاد احد منهم عن الطريق والمنهج نرى اصحابه يرشدونه الى الطريق الصحيح وفق تصورهم .

ويعد التمرد .. على المذهب والردة عنه وجها آخر للتمسك بالمبدأ ورفض السيطرة والتسلط .

وخير ما يمثل هذا الاتجاه « حصين بن حفصة السعدى » فقد كان من أصحاب « قطرى بن الفجاءة » .. ثم خالفه حين قتل ابن عمه « عامر بن عمرو السعدى » لأنه قال لقطرى وقد بلغه أنه يريد الهرب « ان قاتلت قاتلت معك .. وان هربت فانا أبرأ الى الله منك » ثم عزم قطرى على قتل حصين نفسه ، فهرب منه وصار الى المهلب واستامنه ، فعفا عنه واجازه » (٥٣) .

---

(٥٣) انظر « وفيات الأعيان » لابن خلكان ج ٣ ص ٢٥٧ وانظر ادب الخوارج ص ٥١ .

يقول « حصين بن حفصة السعدى » معلنا تمرده على « قطرى بن الفجاءة » ومؤكدا تمرده على مذهب الخوارج وخروجه عليهم ولجوءه الى « المهلب » .

قد قلت لما أرهجت لى عجاجه ... هوى قطرى وسطها يتذبذب
فيا قطرى بن الفجاة امالنا ... جواب ـ لحاك الله ـ الا المشطب
فلما أبى الا اللجاج بقتلنا ... نظرت وكان المستجار المهلب

ثم ينتقل « حصين » الى مدح « المهلب » ويحدد موقفه المتمرد من معتقده القديم وهو انتماؤه للخوارج ، ويحلل دوافع لجوئه الى « المهلب » ، يقول :

فما جئته أعشو اليه بشبهة ... ولا طالبا مالا ولا الجاه أطلب
ولكننى أحدثت لله توبة ... نقلت اليها والقلوب تقلب
ولم تك بى بعد البصيرة عرجة ... ولم يك لى بعد المهلب مذهب (٥٤)

فالشاعر هنا ينفى عن نفسه التهم التى يمكن أن توجه اليه ازاء تحوله عن مذهب « الخوارج » فهو ليس مضطرب الموقف ، والطريق ليس غائما أمامه « فما جئته أعشو اليه بشبهة » .

وهو لا يريد التكسب والمتاجرة بالرأى حين يتحول من مذهب الى مذهب ، وكذلك لا يريد الجاه ، وهذه التهم التى نفاها عن نفسه هى ما يمكن أن يوجه الى المتمردين على أحزابهم والمتحولين الى أحزاب أخرى ، ويؤكد الشاعر ان هذا التحول عن مذهب « الخوارج » « توبة لله » وهذا التعبير يوحى بادانة الشاعر لمعتقد الخوارج وكأنه يريد أن يقول انهم على ضلال لأن الخروج عليهم والتحول عنهم توبة وهداية ، ويؤكد هذا الموقف حين يقول « ولم تك لى بعد البصيرة عرجة » وهذا

---

(٥٤) ديوان الخوارج ص ٥١ .

القول كناية عن وضوح الطريق أمامه ، ثم يعلن موقفه صراحة بقوله :

ولم يك لى بعد المهلب مذهب

وهذا الشاعر نفسه يعبر عن تمرده على مذهب الخوارج فى صورة فنية اخرى وهى هجاؤه لقطرى بن الفجاءة . وسخريته منه ، والدعاء عليه بالموت ، ويرسم مشهدا يصور تقاعسه وجبنه وذلك فى عدم قدرته على مواجهة « المهلب بن أبى صفرة » : يقول :

أيا قطرى بن الفجاة أمالنا ... من النصف شىء غير فعل الجبابر
أما تستحى يا ابن الفجاة من التى ... لبست بها عارا وأنت مهاجر
أفى كل يوم للمهلب أسلمت ... له شفتاك الفم والقلب طائر
فحتى متى هذا الفرار حذاره ... وأنت ولى والمهلب كافر
فمت قطرى ان فى الموت راحة ... وأنت لديه لا محالة صائر (٥٥)

والسخرية من « قطرى » تبدو فى تصوير الشاعر للمواجهة بين قطرى وبين المهلب ووصفه لقلب « قطرى » بأنه طائر فرقا وجبنا ، وكذلك فى تساؤله : متى ينتهى الفرار من المهلب ، ووصفه لقطرى بأنه « ولى » وللمهلب بأنه كافر ، امعانا فى السخرية والتعريض « بقطرى » لانه يعتقد ذلك ، ومع ذلك فقد خاب رجاؤه .. وتغلب المحكوم عليه بالكفر على من يدعى الايمان والولاية .

والدعاء الذى جاء فى صيغة الأمر فى قوله « مت قطرى » يفسر عاطفة الشاعر الحانقة تجاه ابن الفجاءة ، ويصور شدة غضبه عليه ، وقد صرح بذلك فى البيت السابق حين قال :

فأنت الذى لا نستطيع فراقه ... حياتك لا نفع وموتك ضائر

---

(٥٥) السابق ص ٥٢ .

وبرغم صدق التجربة الشعرية هنا فان الشاعر ليست لديه هذه القدرة الفنية واللغوية على أحكام الصياغة ، فهو يقع فى تجاوزات فنية كثيرة ، فهو فى مدحه للمهلب لجأ الى علة عروضية وهى « الخرم فى البيت الأول :

قد قلت لما أرهقت لى عجاجه »

وفى البيت العاشر يقول : « ولم تك بى بعد البصيرة عرجة » فتسكين الهاء ضرورى والا اختل وزن البيت ، ويدل هذا على ضعف الصياغة فى شعر الشاعر ، وقد آثرت أن يعدل البيت الى الآتى :

ولم تك بى .. » وهذا أنسب للمعنى » .

وفى هجائه « لقطرى » لجأ الى « الاقواء » فى البيت الأول ، فجاء حرف الروى مكسورا ، وهو فى باقى أبيات القصيدة مرفوع ، وكلمة « الفم » لا يشدد فيها حرف الميم ، ولكن يضطر الشـــاعر الى التشديد حتى يستقيم الوزن فى قوله :

له شفتاك الفم والقلب طائر

٥ ـ محاربة العصبية القبلية :

ان العصبية القبلية قد ازدهرت فى العصر الأموى بعدما كادت تختفى فى الحقبة المثالية من تاريخ الاسلام « عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين » ونحن حين نستعرض شعراء هذا العصر ونرصد اتجاهاتهم الشعرية والأغراض التى نظموا فيها نلاحظ أن الكثرة الغالبة منهم لم تزل تجرى على سنن الشعراء الجاهلين فتقف جل شعرها على الأغراض القبلية وتقدم ولاءها القبلى على سائر النزعات والمشاعر التى تجيش فى صدرها » (٥٦) .

---

(٥٦) أنظر « العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى » ص ٣٧٠ د . احسان النص ـ ط ٢ ـ دار الفكر .

والخوارج من منطلق ايمانا بالمساواة بين المسلمين فى الحكم وفى كل شىء ، فالحاكمية عندهم لله ، وليس لقريش او لبنى هاشم أو لبنى امية فضل على القبائل الأخرى فى هذا الشان أو غيره الا بالتقوى كما قال الله سبحانه « ان اكرمكم عند الله أتقاكم » ، ان اغلب شعرائهم يحاربون كل بزعة عصبية اذا كانت هذه النزعة ستجور على حق الغير ، أو تعطى لنفسها قيمة استعلائية فى مقابل دونية الآخرين .

ولا تكاد تخلو قصيدة من شعر الخوارج المصور لمذهبهم من محاربة النزعة العصبية فهم دائما يركزون على انتسابهم لله فقط ، وهم يؤكدون أن العقيدة نسبهم الأقوى ، وان الموت فى سبيلها غاية يسعون اليها بكل شوق وشجاعة ورغبة فى اعلاء كلمة الحق .

وحين نتامل بعض النصوص الشعرية المعبرة عن رؤية الخوارج للحياة من خلال منظورهم نرى « عمران بن حطان » يشيد بقوم من الأزد وقد نزل عليهم بالكوفة ، وهو فى هذه الاشادة لا يتحول بشعره الى مادح ، ولا الى مثير للنزعات العرقية ، بل يشيد بمناقبهم الحميدة التى تتفق مع منهجه فى الحياة ، وفى معرض اشادته بهذه المناقب يهاجم النزعة العصبية القبلية .. يقول :

نزلنا بحمد الله فى خير منزل ... نسر بما فيه من الأنس والخفر
نزلنا بقوم يجمع الله شملهم ... وليس لهم عود سوى المجد يعتصر
من الأزد ، ان الأزد أكرم معشر ... يمانية طابوا اذا نسب البشر
فاصبحت فيهم آنا لا كمعشر ... أتونى،فقالوا : من ربيعة أو مضر
أم الحى قحطان ؟ فتلكم سفاهة ... كما قال لى روح وصاحبه زفر
وما منهما الا يسر بنسبة ... تقربنى منه ، وان كان ذا نفر
فنحن بنو الاسلام ، والله واحد ... وأولىعباد الله باللهمن شكر(٥٧)

---

(٥٧) ديوان الخوارج ص ١١٠ - ١١١ .

والأبيات السابقة تفصح عن مأساة مر بها « عمران بن حطان » وقابلها محتسبا فى سبيل ايمانه بمنهجه وعقيدته ، والمأساة تتجسم فى ملاحقة الحجاج له حين كتب اليه « عمران » يهجوه ويتهمه بالجبن وذلك عقب هجوم « شبيب الصفرى » وزوجته « غزاله » على الكوفة ومعهما اصحابهما واتباعهما وقد هلع الحجاج وتحصن فى قصره . فكتب اليه عمران .

أسد على وفى الحروب نعـــامة ربداء تنفر من صفير الصـــــافر
هلا برزت الى غزالة فى الضحى بل كان قلبك فى جناحى طائر

وغضب الحجاج واشتد فى طلبه بعد قضائه على شبيب وصاحبته سنة ٧٧ هـ سبع وسبعين للهجرة ففر منه على وجهه يتنقل فى القبائل منتسبا فى كل حى نسبا يقرب منه ، وما زال يتنقل شاعرا بمرارة الحياة وما يحتمل فى سبيل عقيدته من خطوب حتى انتهى الى « روح بن زنباع » الجذامى بالشام فانتسب له أزديا فأنزله نزلا آمنا نحو عـام وبالغ فى اكرامه (٥٨) .

والأبيات السابقة تصور مشاعر « عمران » تجاه القـــوم الذين أكرموه ، وتتواصل مأساة « عمران » بعد أن يعلم أن عبد الملك عرف مكانه ، فيرحل الى « زفر بن الحارث » ، فى « قرقيسيا » وينتسب اليه « اوزاعيا » وحين كاد يكتشف أمره ارتحل الى « عمان » ، ثم ارتحل حتى أتى قوما من « الازد » فى روز ميسان بالقرب من الكوفة ، فاشادة عمران ، بالازد .. لم تكن دعوة الى النزعة العصبية ، ولا احيـــاء لهذه النزعة من جديد ، وانما دفعه الى ذلك ما لاقاه من كرم الضيافة وحسن الجوار ، ويؤكد فى نهاية قصيدته أن الجميع ينتسب للاسلام ـ والله رب الجميع ، وهم فى رحابه متساوون .

---

(٥٨) أنظر العصر الاسلامى ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ـ د . شوقى ضيف .

ويقول : « عيسى بن فاتك » مصورا انتسابه للاسلام ومتفقا مع « عمران بن حطان » فيقر بأن الاسلام أبوه ، وليس له حسب غير ذلك ، وفى هذا الاقرار محاربة صريحة للنزعة العصبية التى سادت فى العصر الأموى ، وكان لها أثر عميق فى الأحوال السياسية والاجتماعية والأدبية (٥٩) .

وكثيرا ما يقع شعراء الخوارج فى العيوب الفنية ، وقد يرجع ذلك الى تركيزهم على قضيتهم ، وعدم عنايتهم بتجويد الصنعة الفنية ، فهم لم يتخذوا من الشعر حرفة حياة ، ومصدر رزق لا يجدون سواه وانما الشعر لديهم وسيلة من وسائل الدفاع عن منهجهم ، والفعل لديهم يسبق القول ، والتزامهم بالاطار الفكرى المحدد لهم حال دون تجويد بضاعتهم الفنية . وقد وقع « عيسى بن فاتك » فى عيب « الاقواء » اذ يقول :

أبى الاسلام لا أب لى سواه ... اذا فخروا ببكر أو تميم
ولا الحيين ينصر مدعيه ... ليلحقه بذى الحسب الصميم
وما حسب ولو كرمت عروق ... ولكن التقى هو الكريم

ويصور « أبو بلال مرداس بن أديه » محاربته لنزعة العصبية القبلية فى رؤيته للحياة بعد الموت وكذلك رؤيته للعلاقات الاجتماعية واسس اقامتها بين الأخلاء ، يقول :

ما أن نبالى اذا أرواحنا خرجت ... ماذا فعلتم بأجساد وأوصال
نرجو الجنان اذا صارت جماجمنا ... تحت العجاج كمثل الحنظل البالى
انى امرؤ باعثى ربى لموعده ... اذا القلوب هوت من خوف أهوال
وادت الأرض منى مثل ما أخذت ... وقربت لحساب القسط أعمالى
نفسى ظنون ولست الدهر آمنها ... من بعد كعب طواف وغسال

---

(٥٩) أنظر كتاب « العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى » د . احسان النص وهو عرض مفصل ودقيق .. أحاط بهذه القضية من جميع جوانبها .

من كان من أهل هذا الدين كان له ودى ، وشاركته فى تالد المال
الله يعلم أنى لا أحبهم الا لوجهك دون العم والخال (٦٠)

فالمحبة النابعة من الالتزام بالدين ومنهجه هى الدائرة التى تجمع القلوب وتوحد الأمانى والبيتان الأخيران يفصحان عن هذا المنظور المناقض لنزعة التعصب القبلى ، فود الشاعر وماله وحبه لأهل الدين ، ويؤكد هذا المعنى حين يشهد الله على نفسه ، ويمزج هذا الاشهاد بالتوكيد وأسلوب القصر ، فوجه الله هو قطب المحبة ، ومنتهى ما تطمح اليه القلوب والنفوس فى هذا المجال ، ولا قيمة لرابطة العم أو الخال اذا كانت هذه الرابطة ستضعف من أثر الحب فى الله ، وتوقف مد العاطفة الايمانية .

ومن شعراء الخوارج من خالف هذا الاتجاه فى محاربة النزعة العصبية القبلية حيث « اقترن الولاء للعقيدة المذهبية بالولاء للقبيلة عند طائفة منهم » ، ومنهم من عرف بشدة العصبية وعنف الشعور القبلى .

فشبيل بن عزرة الضبعى الخارجى مثلا لا يكتم سروره لمبايعة عبد الله بن عمر الأوى القرشى الضحاك بن قيس الشيبانى الخارجى ، ولطاطأة قريش هامتها المتعالية أمام قبيلة بكر بن وائل فيقول :

الم تر أن الله أظهر دينه وصلت قريش خلف بكر بن وائل (٦١)

و « مصقلة بن عتبان الشيبانى الخارجى » يخاطب الخليفة فيحضه على ارضاء بكر بن وائل قومه ويتهدده ان لم يفعل بيوم يترقبه عصيب ، ثم يفاخره بالخوارج المشهورين الذين انحدروا من دوحة قبيلة بكر :

---

(٦٠) ديوان الخوارج ص ١٩٥ .
(٦١) انظر العصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى ص ٣٩٢ ، وانظر تاريخ الطبرى جـ ٥ ص ٦٢٠ .

وابلغ أمير المؤمنين رسـالة ... وذو النصح ان لم يزغمنك قريب
فانك ان لا ترض بكر بن وائـل ... يكن لك يوم بالعراق عصـيب
فان يك منكم كان مروان وابنـه ... وعمرو . ومنكم هاشـم وحبيب
فمنا سـويد والبطين وقعنب ... ومنـا أمير المؤمنين شـبيب
ولا صلح ما دامت منابر ارضنـا ... يقوم عليها من ثقيف خطيب(٦٢)

و « الطرماح بن حكيم » نراه يستشعر عصبية شديدة لقبيلته ، بل لكل اخرانها من القبائل القحطانية ، وخاصة « الأزد » قبيلة « المهلب بن أبى صفرة » ، وقد دفعه هذا التعصب القبلى المخالف لمنهج الخوارج الى الدخول فى معركة حادة مع الفرزدق شاعر تميم عدوة الأزد والقبائل القحطانية عامة (٦٣) ، وكانت بينه وبين شعراء العدنانية مناقضـات ومفاخرات كثيرة ، وكان من دواعى فخره انه شاعر قحطان الذى ناطت به المحامأة عنها والذود عن أحسابها ، وكان ينتهز كل سانحة للتنويه بمفاخر قومه القحطانية ، والاشادة بمآثرهم ، ومما فاخر به نصرة الأنصار اليمنية الرسول عليه السلام يوم قدم يثرب ، ومظاهرة اليمانية بنى أمية وتثبيتهم دعائم ملكهم : يقول - معتزا بقومه لأنهم نصروا النبى عليه السلام ، وثبتوا بنى أمية :

فبعزنا نصر النبى محمد ... وبنا تثبت فى دمشق المنبر (٦٤)

٦ - التقارب بين الخوارج وبين المذاهب الأخرى :

وهذا التقارب الذى نطق به شعر الخوارج يبدو غريبا وبعيدا عن الواقع .. وذلك لأن الخوارج برغم تطرفهم الفكرى وحماسهم الثورى ،

---

(٦٢) مروج الذهب للمسعودى جـ ٢ ص ١٣٦ نقلا عن العصبية القبلية واثرها فى الشعر الأموى ص ٣٩٣ .

(٦٣) العصر الاسلامى ص ٣١٢ - د . شوقى ضيف .

(٦٤) أنظر ديوان « الطرماح » والأغانى جـ ١٥ ص ١٠٩ « ساسى » والعصبية القبلية وأثرها فى الشعر الأموى .

واهدار دم من يخالفهم فى مبادئهم كانوا يعتقدون أنهم وحدهم على صواب ، وهم « الشراة » و « الناجون من النار » وغيرهم على ضلال ، ولكن بوارق الحق كانت تضىء لهم أحيانا الطريق السوى ، أو تلجئهم الظروف والأحداث الى هذا التآلف والتحالف ، أو يجدون أمامهم من دلائل الصدق والعدل والتجرد ما يقنعهم بصدق السيرة ، وعدالة المنهج ، وصفاء العقيدة ، مثلما وجدوا فى سيرة « عمر بن عبد العزيز » ومنهجه مما أقنعهم به ، واندفع بعضهم يرثيه فى عاطفة حارة صادقة .

★ ومن مظاهر هذا التقارب التى عبر عنها شعراء الخوارج تعبيرا صادقا : المواقف الآتية :

أ ـ رثاء زعماء الشيعة :

★ ومن ذلك رثاء « حبيب بن حذرة الهلالى » ، شهيد كربلاء « الحسين بن على » وقد رثى أيضا « زيد بن على بن الحسين » ، والحسين له أثر لا يمحى فى الفكر الشيعى وقد بالغ الشيعة بعد ذلك فى موقفهم منه ، ويوم كربلاء عندهم يوم دام يحيى فى قلوبهم الفواجع ويذكرهم بالكوارث ، وكذلك « زيد بن على » امام فرقة الزيدية ـ الذى ثار فى الكوفة سنة ١٢١ هـ لعهد هشام بن عبد الملك وقتل ، وكان يؤمن بحقوق بيته فى الخلافة ، غير أنه لم يكن يؤمن بالنص فى الامامة ولا ببقية الآراء الغالية عن الكيسانية وأشباههم وكان يجوز امامه المفضول مع وجود الأفضل ، وبذلك جوز امامة أبى بكر وعمرو مع وجود على (٦٥)

★ يقول : « حبيب بن حذره الهلالى » (٦٦) فى رثاء « الحسين ابن على » مدفوعا بعاطفة دينية تجاه الشخصية الاسلامية القوية الباحثة عن حقها المهدر ، ويسخر من أنصار الحسين الذين خذلوه وانفضوا عنه وتركوه نهبا للسيوف وطعاما للرماح والطيور يقول :

---

(٦٥) العصر الاسلامى ص ١٩٢ ـ د . شوقى ضيف .

(٦٦) عده الجاحظ من خطباء الخوارج وعلمائهم وشعرائهم .

قتلوا الحسين وأصبحوا ينعونه ... ان الزمان باهله أطـــــوار
ما شيعة الدجـــال تحت لـوائه ... بأضل ممن قاده المختـار (٦٧)

★ والمراد « بالمختار » هنا : هو « المختار الثقفى » الذى شـــوه صورة فرقة الكيسانية بشعوذاته وبكرسيه الذى غشاه بالديباج وقـــال لهم « انه من ذخائر أمير المؤمنين « على بن أبى طالب » وهو منكم بمنزلة التابوت فى بنى اسرائيل ، وكان يكثر من ارسال حمامات بيضاء على جيوشه زاعما أنها ملائكة تنزل عليهم من السماء » (٦٨) .

★ ويقول الشاعر نفسه فى رثاء « زيد بن على بن الحسين » :

يابا حسين لو شـــراة عصـــابه ... صبحوك كان لوردهم اصـــدار
ان يقتـــلوك فان قتلك لم يكن ... عارا عليـك ، ورب قتل عـار
أأبا حسين والجـــديد الى بلى ... أولاد درزة أســـلموك وطـاروا

★ وفى موضع آخر يقول :

أولاد درزة أســـلموك مكبـــلا ... يوم الخميس لغير ورد الصادر
تركوا ابن فاطمة الكرام تقـوده ... بمكان مسخلة لعين الناظر(٦٩)

ب ـ التآلف مع الزبيريين :

ويرجع هذا التآلف الى احساس بعض الخوارج بأن ابن الزبير وهو عائذ بالحرم فى خطر فكبر عليهم أن يذيقهم الأمويين البأس ، وأن

---

(٦٧) ديوان الخوارج ص ٤٢ ، ٤٣ .
(٦٨) انظـــر الملل والنحل للشهرستانى والعصر الاســـــلامى لشوقى ضيف .
(٦٩) يابا حسين : اصلها : يا أبا حسين ، أنظر ديوان الخوامج ص ٤٢ ، ٤٤ .
المكان المسخول : المرذول ، المجهول .

يقتلوا منهم الكثير ، وبخاصة بعد أن أرسل ابن زياد فى سنة ٦١ هـ بعد انتصارات الخوارج المتتالية « عياد بن علقمة » على راس جيش ضخم فهزم « ابو بلال مرداس » وقضى عليه ، وقد سمع فريق من الخوارج بأن جيشا سيسير لابن الزبير بمكة ، فخرجوا اليه ليعينوه ضد من سيهاجمونه هو والبلد الحرام .

وقد قتل فى هذه المعركة كثير من الشراة ومنهم رجاء النمـــرى واصحابه ، فرثاهم « حجية ابن أوس العطاردى » وكان فى عداد الشراة اذين قدموا على ابن الزبير فى مكة لمساعدته ضد الأمويين : يقول :

اذا ذكرت نفسى رجاء وصحبـــه ... أكاد على بعض الأمور ألومهـــا
فلله عينا من رأى مثـــل عصبة ... أقام بضبع ابن الزبير مقيمها (٧٠)
ترى عافيات الطير تحجلن حولهم ... يقلبن أجساما قليلا لحومهـــا
فوا حربا الا أكون شـــهدتهـم ... بمكة والخيلان تدمى كلومهـــا
ندمت على تركى رجاء وصحبـــه ... وتلك لعمرى هفوة لا أقالها (٧١)

والشاعر فى هذا الرثاء يدور فى فلك الخوارج .. وكل صلته باتباع ابن الزبير أن رجاء وصحبه كانوا يحاربون معهم ، وهم جماعة لم ير الرائى مثلهم ، وشهداؤهم تحجل حولهم عافيات الطير - ولكن أجسامهم ضعيفة نحيلة .

« يقلبن أجساما قليلا لحومها »

وهذه الصورة الفنية لشهداء الخوارج كثيرا ما ترد فى أشعارهم .. وهى صورة تقترب من واقعهم وظروف حياتهم فكثير منهم اصابه الهزال من كثرة العبادة وخوض الحروب .

---

(٧٠) ضبع : اسم جبل لغطفان : سمى بذلك تشبيها للضبع وعرفها .
(٧١) شبيب بن يزيد : زعيم الصفرية ن الخوارج .

جـ ـ مهادنة الأمويين أو ما يشبه مبدأ « التقية » :

وهذا الاتجاه يتشكل فى قصيدة « عتبان بن وصيلة الشيبانى » التى يخطب بها عبد الملك ابن مروان قائلا :

لعمرى لقد نادى «شبيب» وصحبه ... على الباب لو أن الأمير يجيب (٧٢)
فابلغ امير المؤمنين رسالة ... وذو النصح ـ لو تصغى اليه ـ قريب
اتذكر اذ دارت عليك رماحنا ... بمسكن : والكلبى ثم غريب
فلا صلح ما دامت منابر أرضنا ... يقوم عليها من ثقيف خطيب
فانك الا ترص بكر بن وائل ... يكن لك يوم بالعراق عصيب
فلا ضير ان كانت قريش عدى لنا ... يصيبون منا مرة ونصيب
فان يك منهم كان مروان وابنه ... وعمرو ، ومنهم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين « شبيب »

★ وقائل هذا النص « يذكر المرزبانى أن أصيلة أمه وهى من بنى محلم ، وأبوه « شراحيل بن شريك بن عبد الله بن الحصين الشيبانى » وهو من شراة الجزيرة ، ويتفق ابن خلكان مع المرزبانى فى خبره عنه وأنه كان يكنى « أبا المنهال » (٧٣) .

★ ويرى المسعودى أنه خرج فى أيام عبد الملك بن مروان بين يديه فعفا عنه .

وموقف المهادنة أو « التقية » يبدو فى التصرف الفنى للشاعر وفى ذكائه حين وقع بين يدى عبد الملك ، وسأله عن تسميته لشبيب بأمير المؤمنين ، فقال : انما قلت : ومنا ـ أمير المؤمنين ـ شبيب ، فنصب

---

(٧٢) سكن : موضع على نهر « دجيل » به كانت الموقعة بين عبد الملك ابن مروان ومصعب بن الزبير .

(٧٣) وفيات الأعيان جـ ٢ من ١٦٤ ـ ١٦٥ نقلا عن ديوان الخوارج ص ١٠٠ .

لفظ « امير المؤمنين » على النداء ، وهذا يسمى « المرزارية » ، كما جاء فى الحماسة البصرية .

★ ويقول « الدميرى » فى كتابه « حياة الحيوان » .

وهذا الجواب فى نهاية الحسن ، فان كان قوله « ومنا أمير المؤمنين شبيب » مرفوعا كان مبتدأ ، فيكون شبيب أمير المؤمنين ، واذا نصب كان معناه ومنا يا أمير المؤمنين « شبيب » .

★ والشاعر فى موقف المهادنة لم يعط الراية كاملة لبنى أمية ، بل نراه يحتفظ بسماته وهويته ، ويجعل نفسه ندا للأمويين هو وأصحابه ، ولكنه حريص على عدم اغضاب الخليفة طلبا للعفو ، فيجعل العصبية نسيجا حيا فى صياغة تجربته ويعدها من أسس دفاعه عن نفسه ، وذلك يبدو فى تعاطفه مع قريش .. وبنو أمية فرع منها ولذلك ينسب اليها الفوز احيانا .

فلا ضير ان كانت قريش عدى لنا يصيبون منا مرة ونصيب

وفى الوقت نفسه يعلن عداءه لبنى ثقيف قوم الحجاج ، حيث يقول :

فلا صلح ما دامت منابر أرضنا يقوم عليها من ثقيف خطيب

★ والعداوة بين الخوارج والحجاج بن يوسف الثقفى التى يفصح عنها البيت السابق تتجلى أكثر فى رسالة « قطرى بن الفجاءة » اليه وهى تتضح بالعداء السافر ، وتكشف عن شجاعة قطرى فى مواجهة الحجاج ، وتومىء الى أن موقف المهادنة لم يكن موقفا عاما أو يمثل ركيزة من ركائز عقيدة الخوارج ، وانما كان موقف المهادنة تصرفا فرديا له ظروفه وحيثياته :

يقول « قطرى » مخاطبا « الحجاج » (٧٤) :

★ كتبت الى تذكر أنى أعرابى جلف أمى ، أستطعم الكسرة وأستشفى بالتمرة ! ، ولعمرى يابن أم الحجاج انك متية (٧٥) فى جيلتك ، مطلخم (٧٦) فى طريقتك ، واه فى وثيقتك ، لا تعرف الله ولا تجزع عن خطيئتك ، يئست واستيأست من ربك ، فالشيطان قرينك ، لا تجاذبه وثاقك ، ولا تنازعه خناقك (٧٧) .

★ وقد يعلن الشاعر الخارجى المهادنة خوفا من القتل ورغبة فى النجاة بنفسه ، فقد قدم الحجاج أحد الخوارج للقتال فقال ذلك الرجل مخاطبا الحجاج ومعلنا ما يشبه مبدأ « التقية » عند الشيعة . .

أحجاج انى والذى انا عبده ... على دين خير العالمين محمد
ودين أبى بكر وصاحبه الذى ... مضى عادلا فى حكمه لم يفند
ولست لعثمان بن عفان باغضا ... ولا قائلا فيه مقالة ملحد
وان يك عثمان بن عفان ظالما ... فربك للعبد (المظلوم) (٧٨) بمرصد
وأما على ذو المعالى فانه ... وصى بنى ذو سناء ومؤدد
وان يك مظلوما ، له الله ناصر ... فينصره من كل باغ ومعتد
وقد كان مولى المؤمنين وانني ... مقر به فى كل ناد ومشهد
فذلك دينى لا أدين بغيره ... ولست كهذا الكافر المتلدد

★ وقد يدفع موقف الخوف والفرق من الموت الى الاستعطاف ومحاولة استرضاء الخوارج للمخالفين لهم فى مذهبهم .

---

(٧٤) ديوان الخوارج ص ٢٦٣ .
(٧٥) متيه فى جبلتك : مضلل فى خلقتك وطبيعتك .
(٧٦) مطلخم : متكبر .
(٧٧) خناقك : الحبل الذى تخنق به .
(٧٨) هكذا جاءت رواية البيت وفيه خلل عروض لا يخفى . فالقصيدة من بحر الطويل .

وذلك يتجسم فى استعطاف امرأة من الخوارج للحجاج حين أراد قتل أحد الخوارج .. اذ تقول فى نداء ولهفة ، وتكرر لفظ الحجاج مقرونا بأداة النداء « الهمزة » ايحاء برغبتها الأكيدة فى توصيل نداءاتها اليه انها تناديه وقد حضرت معها نساء أخريات .

أحجاج لو تشهد مقام بناته ... وعماته يندبن بالليل أجمعا
احجاج اما أن تمن بتركه ... علينا .. واما أن تقتلنا معا
أحجاج لا تفجع به وبنسائه ... ثمانا .. وتسعا واثنتين وأربعا
فمن رجل دان يقوم مقامه ... علينا فمهلا لا تزدنا تضعفا(٧٩)

٧ ـ الشكوى والاحساس بالهزيمة :

على الرغم من مشاعر الخوارج الثائرة ، وأحاسيسهم الملتهبة ، ومشاعر الفروسية التى جعلت حروفهم تعانق أسيافهم ، ورماحهم تصبغ أشعارهم ... على الرغم من هذه الخصائص الحادة فى شعر الخوارج فاننا نلمح بصمات الحزن غائرة فى بعض تجاربهم الشعرية ، وذلك انفعالا بالأحداث الدامية ، واستجابة شعورية للاحساس بالفقد والاصطدام بالواقع الذى هزمهم ، وأطاح بقوادهم ، وأطفأ أحيانا لهيب عزائمهم وكيف لا .. ؟ وهم يتساقطون كالشهب فارسا تلو الآخر ، ويا ليتهم وحدهم يذهبون ، وانما وراءهم البنات والبنون ، وراءهم ثمار قلوبهم وفلذات أكبادهم .

★ هذه الحقائق الدامية يصورها « عبيدة بن هلال » فى احدى قصائده ، وهو من أصحاب « قطرى بن الفجاءة » ، ويقال انه كان آخر زعماء الأزارقة ، وكان شاعرا ورئيسا وخطيبا ، وقد ذكره ابن أعثم « انه بعد اخفاق قطرى فى « جيرفت » هرب الى الرى ، ومعه « عبيدة بن هلال » وجمع من الخوارج الأزارقة ثم افترقا فذهب قطرى الى طبرستان ، ومضى « عبيدة » فى نفر من أصحابه الى « قومس » وبعث الى المهلب

---

(٧٩) ديوان الخوارج ص ٢٢٨ .

بهذه القصيدة » (٨٠) وهو يصور فيها شكواه واحساسه بالهزيمة ويحاول أن يستميل المهلب بن أبى صفرة حتى لا ينكل بأبنائه وآله ، يقول :

طال ليلى وغير الدهـــر حالى ورمانى بصائبـــات النبال
أفـــرق الدهر بيننـــا قطـرى ورمانا بفتنـــة الدجـــال
وأرى « عبد ربه » ترك الحـــق فهـــذان فى الردى والضـــلال
وأوقـــدوها على الشـراة وقالوا شن هذا « عبيدة بن هـــلال »
ولعمـــرى ما ان هما زعمـــاه لقليل فى جمعهم أمثـــالى
اننى للصبور فى زمن الحـــر ب بصـــير بما على ومالى
غير أنى لم أجنهـــا علم الله ولا حـــل فى اللجـــاج عقـــالى
وعيـــالى مطرحـــون بجيرفت لك الخير أين منى عيـــالى

★ والقصيدة تنضح بالألم وتنز بالشكوى ، وجاءت فى الأسلوب الخبرى لتشير الى الواقع الكائن والأحداث التى أناخت على هذا الواقع بكلكلها ، وقد كثف الشاعر رؤيته فى البيت الأول فاذا الحياة كلها ظلام فى عينيه ، والدهر يتجهم له ـ حيث الاحجام بعد الاقدام ، والفرقة بعد الالتئام ، والأبناء المشردون فى فجاج الأرض ، وهو النائى عنهم ، المفجوع فيهم ، وقد رمز الى هذه المعانى بطول الليل ، وتغيير الدهر لحاله ، ورميه بصائبات النبال ، وبعد ذلك يبدأ فى شرح أبعـــاد هذه الصورة ويعرضها كما يحدث فى المشاهد المرئية المعاصرة بطريق التصوير البطىء المشحون بالانفعالات .

★ ونزعة المهادنة التى أشرت اليها سابقا تبدو فى البيت الأخيـــر حيث يقول :

ان من خاله المهلب .. فى النا س له هيبة وعز وجـــلال

---

(٨٠) كتاب الفتوح لابن أعثم ٢ : ٨٥ ب ـ ١٨٦ ا نقلا عن ديوان الخوارج ص ٩٨ .

وفى القصيدة رد على « عبدربه الكبير » الذى انفصل عن قطرى بن الفجاءة ، وكان من أصحابه وقد تزعم جناحا من الأزارقة وقاتل المهلب فقتل سنة ٧٧ هـ ، ٦٩٦ م .

★ وقد اتهم عبدربه قطرى وصالح بن مخراق وعبيده بن هلال بالهروب فى خطبته التى قالها حينما اشتد حصار المهلب له ، ومن قوله له مخاطبا أصحابه « لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال ، فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره ، والمسلم اذا صح توحيده عز بربه ، وقد أراحكم الله من غلظة قطرى ، وعجلة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط عبيده بن هلال ، ووكلكم الى بصائركم ، فالقـــوا عدوكم بصبروفية ، وانتقلوا عن منزلكم هذا ، من قتل منكم قتل شهيدا ، ومن سلم من القتل فهو المحروم » (٨١) .

٨ ـ الهجاء المذهبى ومحاوره :

ان الهجاء فى شعر الخوارج يختلف فى منابعه وروافده عن هجاء الشعراء الذين لم يتمسكوا بمبدأ محدد ، ولم تتحرك رؤيتم الشعرية فى اطار مذهب له معالمه .

وحين نوازن بين الهجاء لدى شعراء الخوارج والهجاء لدى شعراء بنى امية نصل الى معلم فنى يصبغ هجاء الخوارج بصبغة مذهبية ، ويبتعد بهم عن الهجاء الشخصى والهجاء الذى تمليه العصبية القبلية والمشحون بالموروثات الجاهلية مثلما نجد فى النقائض التى اشتعلت قذفا وسبا وعصبية بين الفرزدق وجرير ، وبين جرير والأخطل .

فشعراء الخوارج فى هجائهم ينطلقون من الغيرة على مذهبهم ، والدفاع عنه ، والهجاء فى شعرهم يتضمن الاتجاهات الآتية :

---

(٨١) أنظر الكامل للمبرد ج ٢ ص ١١٥٥ ـ ١١٦١ ـ وديوان الخوارج ص ٢٦١ .

١ ـ هجاء الأمويين :

وهذا الهجاء كان دافعه البغض السياسى والعقدى ، فالخوارج مختلفون اختلافا جذريا مع الأمويين ، وهم يرون أنهم غير جديرين بالحكم ، ولذلك لا نستبعد أن يصب الخوارج جام غضبهم على الأمويين فى كثير من تجاربهم الشعرية ، فهم فى دعوتهم الى الجهاد يدعون الى القضاء على الأمويين ، وهم فى رثائهم يبكون الشهداء الذين قضى عليهم الأمويون ، ورثاؤهم كما قدمنا ممزوج بالغضب الدافع الى الانتقام ، واشهار السيوف فى وجه حكام بنى أمية .

★ وفى خطبة « أبى حمزة الخارجى » فى مكة ، وهو أحد نساك الأباضية وأحد خطبائهم .. نعثر على موقف الخوارج من بنى أمية حيث يقول مبالغا فى حكمه عليهم ومضخما من عيوبهم .. يقول :

« واما بنو أمية ، ففرقة ضلالة ، بطشهم بطش جبرية ، يأخذون بالظنة ، ويقضون بالهوى ، ويقتلون على الغضب ، ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ، ويضعونها فى غير اهلها ، وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل » .

فاقبل صنف تاسع ليس منها فاخذها كلها ، تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما انزل الله » (٨٢) .

★ ومعاوية بصفته اول خليفة أموى تعرض للهجاء من رجل من بنى كلاب من الخوارج حيث يقول متوعدا معاوية :

قد سرت سير كليب فى عشيرته ... لو كان فيهم غلام مثل جساس
انطاعن الطعنة النجلاء عاندها ... كطعنة البرد اعيا فتكها الناسى

---

(٨٢) أنظر : البيان والتبيين ج ٢ ص ١٣٨ .
★ عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٤٩ .

★ وأما الحجاج فهو العدود اللدود للخوارج ، وقد نسبوه الى قوم ثمرد ، وهم الذين آذوا نبى الله صالح ، وعقروا الناقة .. قال تعالى : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » وقال تعالى فى سورة « الشمس » :

« كذبت ثمود بطغواها ، اذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها » .

★ يقول « عبد الواحد الأزدى » وهو من أصحـــاب « شبيب الخارجى » يصف وقعة « السنجة » وهى موضع بالبصرة ، ويندد بالحجاج ويصفه بانه اخو ثمود :

يا ليتنى فى الخيل وهى تدوسهم ... فى السوق يوم الظفر بالحجاج
باخى ثمود وقـــرب ما أخطانه ... ولقد بلغن العذر فى الادلاج(٨٣)
أصبحن بالأنبـــار ثم أتينـــه ... مثل السعالى تحت ليل داج(٨٤)
فبطحن ميمون العذاب لوجهـــه ... وتركته متقطـــع الأوداج (٨٥)
ولقد تخطأت المنايا حوشـــبا ... فنجا الى أجل وليس بناج (٨٦)

★ و « عمران بن حطان » يصبغ الهجاء بصبغة فنية جديدة ، فهو لا يهجو الحجاج هجاء مباشرا ، بل يتوجه بالخطاب الشـــعرى الى « عبد بن ذهل الدارمى » ، وقد كان مع الحجاج وظن أن الحجاج سيحميه ، فأراد عمران أن ينبهه الى حقيقة ذلك الذى لجأ الى كنفه طلبا للحماية ، فقال فى نبرة صادقة واعية مدركة لبواطن الأمور مدفوعا

★ ديوان الخوارج ص ٢٨٥ .
(٨٣) الادلاج : السير فى آخر الليل .
(٨٤) السعالى : جمع سعلاة وهى أنثى الغول ، داج : مظلم .
(٨٥) الأوداج : جمع ودج وهو عرق فى العنق ينتفخ عند الغضب .
(٨٦) حوشب : هو حوشب بن زيد بن الحارث المرى الذهلى . وكان ولى شرطة الحجاج .

بحبه لم ينصحه ، وهو فى هذه النصيحة يصوغ تجربته فى معيـــار الصداقة ، ومقياس الاخاء ، حيث تنطفىء فى شخصية الحجاج أضواء الاخاء الحقيقى وتذبل فى سلوكياته بذور الصداقة المخلصة الرشيدة ، كما يتصور الشاعر ، وانطلاقا من هذا التصور يقول : محللا العـــلاقة المرتقبة بين صاحبه وبين الحجاج ، ومسلطا الضوء الكاشف على شخصية الحجاج النائية عن القيم النبيلة والمثل الحميدة ، يقول :

تصاحب من لا يســـــتقل برايه ... وان كنت ذا بأس ورأى مجـرب
ومن هو لاه عنك حتى يســـومه ... بخسف ، صغير مثله فى المركب
فيطمع أو يحتاج منك الى الذى ... يذب ويغنى عنه فى كل مذهب
ففى مثل هذا لن تزال مكرمـــا ... بأحسن نشر عنده وتقـــــرب
وعنـد تقـــاضى حاجة فمبـــاين ... يراك بعين الشـــانىء المتعتب
فان تبل لا يجزى بخير ، وان تكن ... صحيحا فمنسوب الى غير أحرب
فامسك عليك الصاحب الصدق والذى ... يواسيك فى مانابغير مؤنب (٨٧)

★ ويسخر « عمران بن حطان » من الحجاج حين تدخل « غزالة الحرورية » و « شبيب الخارجى » الكوفة ، ويخاف الحجاج ، ويتحصن بقصره ، فيخاطبه « عمران » فى أسلوب ساخر مفعم بالتهكم ويدعوه الى القاء السلاح ولبس ملابس النساء ، ويصفه بالجبن والكفر .. يقول :

أســـد على وفى الجروب نعامة ... ربداء تجفل من صفير الصافر ؟
هلا برزت الى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبـك فى جناحى طائر
صدعت غزالة قلبه بفـــوارس ... تركت مدابـــره كأمس الدابر
الق السلاح وخذ وشـاحى معصر ... واعمد لمنزلة الجبان الكافر (٨٨)

★ والمفارقة الأسلوبية والموضوعية توشح الأبيات السـابقة . فالبيت الأول يرسم صورتين للحجاج - والصورتان متناقضتان ، فهو أســـد

---

(٨٧) ديوان الخوارج ص ١٠٨ .
(٨٨) السابق ص ١١٥ .

ونعامة ، انه أسد فى مواقف التسلط حيث يستمد الشجاعة من سلطته وليس من مكوناته مقوماته الشخصية،وانه فىوقت الجد نعامة خفيفة الخطى تخاف من صفير الصافر ، فما بالك بجو المعركة ، وقعقعة السيوف ، وتصادم الرماح .

★ وفى البيت الثانى يوضح الشاعر موقفين : موقف الحجاج وهو مختبىء فى قصره ، وموقف غزالة وهى فى ميدان الوغى لا تخشى شيئا ، والسخرية الفنية التى تجسد صورة الحجاج فى رؤية الشاعر تبدو أكثر جلاء حين ندرك أن الخائف رجل / الحجاج ، وأن النازل فى ساحة الميدان ـ امرأة / غزالة ، ومشهد السخرية يبدو أكثر جلاء وعمقـــــا وفنا حين يصف الشاعر .. هلع الحجاج وخوفه قائلا :

« بل كان قلبك فى جناحى طائر »

★ والبيت الثالث يجعل السخرية أكثر تأثيرا حيث يجعل من شجاعة المرأة / غزالة واقعا يتصدع فى مواجهته قلب الحجاج / الرجل .

★ وتبلغ السخرية ذروة اكتمالها حين تتكشف التجربة عن خنـوع الحجاج فى مواجهة « المرأة » فيصدمه الشاعر بهذه الحقيقة المضحكة المبكية :

القِ السلاح وخذ وشاحى معصر واعمد لمنزلة الجبان الكافر

★ وصيغة الأمر تجسد ما يعتقده الشاعر من موقف الضعف الذى جعل الحجاج فى موقف المأمور لا موقف الآمر ، وقوته هى قوة النساء المتبرجات لا قوة الفرسان فى ميادين القتال .

★ وبعض الشعراء لا يكتفى بهجاء الحجاج .. ولكن يصل به عداؤه للحجاج الى حد تمنى قتله ، ومن هؤلاء الشعراء « سميرة بن الجعد » يقول مؤكدا تمسكه بمذهب الخوارج وساخرا من الحجاج على الرغم من أن الحجاج اتخذه سميرا له دون أن يعلم هويته ، ولما جث « قطرى بن

الفجاءة » أصحابه على الخروج ركب سيمره فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقطرى ، بعد أن خلف للحجاج شعرا يخبره بأمره .. يقول :

فمن مبلغ الحجاج أن سميرة ... قلى كل دين غير دين الخوارج
رأى الناس الا من رأى مثل رأيه ... ملاعين تراكين قصد المناهج
فيا ليتنى اذ أمكنتنى فرصة ... فتكت به فتك امرىء غير نافج
فقد كدت لولا الله أن أمزج الهدى ... هدى الحق من قلبى بمزقة مازج
فعممته مثل العقيقة صارما ... تخال على متنيه ماء الصهارج (٨٩)

ب - هجاء ابن الزبير وأنصاره :

ان الخلاف بين الزبيريين والخوارج خلاف جذرى وبخاصة حول نظرية الحكم « فالزبيريون ينادون بأن تكون الخلافة فى قريش ، والخوارج ينادون بأن الخلافة من حق أى مسلم يتمتع بالصفات والشروط التى تجعله جديرا بالحكم والامامة .

★ و « عبيدة بن هلال » فى هجائه « لعمر بن عبيد الله بن معمر » والى البصرة من قبل ابن الزبير ، يوضح هذه الرؤية الشعرية التى تحددها عقيدة الخوارج فى نظرية الحكم :

يقول معرضا بالمهلب ، وساخرا من ابن معمر وابن الزبير :

تأن .. ولا تعجل علينا ابن معمر ... فلست وان أكثرت مثل المهلب
ولا لك فى الحرب الملحة خطة ... ولا لك من يفديك بالأم والأب
كما كانت الأحياء طرا تقوله ... له كل يوم مستحيل عصيصب
فلو غيرنا يلقى لقال لنا : اذهبوا ... ولو غيره تلقى ، لقلنا له : اذهب
فان رمتها منا ، ولست بفاعل ... ركبت بها من حربنا شر مركب
فلسنا بانكاس قصار رماحنا ... ولا نحن نخشى وثبة المتوثب
ولسنا نقول الدهر : عصمة ديننا ... على كل حال كان طاعة مصعب
ولكن نقول : الحكم لله وحده ... وبالله ترضى والنبى المقرب

---

(٨٩) ديوان الخوارج ص ٧٠ .

★ وموقف أبى عبيدة بن هلال السابق يوضحه فى حديث يوجهه لابن الزبير : يقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعد ، فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم يدعو الى عبادة الله واخلاص الدين فدعا الى ذلك ، فأجابه المسلمون فعمل فيهم بكتاب الله وأمره حتى قبضه الله اليه « صلى الله عليه وسلم » واستخلف الناس أبا بكر ، واستخلف أبو بكر عمر ، فكلاهما عمل بالكتاب وسنة رسول الله . فالحمد لله رب العالمين ، ثم ان الناس استخلفوا عثمان بن عفان . فحمى الأحماء ، وحقر المسلم وضرب منكرى الجور ، وآوى طـــريد الرسول صلى الله عليه وسلم (٩٠) .

وضرب السابقين بالفضل ، وسيرهم وحرمهم ، ثم أخذ فىء الله الذى أفاده عليهم ، فقسمه بين فساق قريش ومجان العرب ، فسارت اليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم على طاعته ، لا يبالون فى الله لومة لائم فقتلوه ، فنحن لهم أولياء ، ومن ابن عفان وأوليائه براء ، فما تقول يابن الزبير » (٩١) .

جـ ـ هجاء « المهلب ابن أبى صفرة » وأنصاره :

والخصومة بين الخوارج وبين « المهلب » تعود الى هذه الوقائع التى كانت بينهم وبينه وبخاصة ما كان فى سنة (٧٢) هـ اثنتين وسبعين للهجرة ، ففيها كما يروى ابن كثير « كانت وقعة عظيمة بين المهلب ابن أبى صفرة وبين الأزارقة من الخوارج بمكان يقال له « سولاق » مكثوا نحوا من ثمانية أشهر متواقفين ، وجرت بينهم حروب يطول بسطها ، وقد استقصاها ابن جرير ، وقتل فى أثناء ذلك من هذه المدة « مصعب بن

---

(٩٠) طريد الرسول هو : الحكم بن أبى العاص الذى سمح له عثمان بالعودة الى المدينة بعد ان كان طرده رسول الله الى الطائف ، وقد تحلل عثمان ذلك بأنه كان كلم الرسول قبل موته فوعده بالسماح له ثم مات قبل أن يحقق ذلك .

(٩١) ديوان الخوارج ص ٢٦٢ .

الزبير » ثم ان عبد الملك أقر المهلب بن أبى صفرة على الاهواز وما معها ، وشكر سعيه وأثنى عليه ثناء كبيرا ثم تواقع الناس فى دولة عبد الملك بالاهواز فكسر الناس الخوارج كسرة فظيعة ، وهربوا فى البلاد لا يلوون على أحد ، واتبعهم خالد بن عبد الله أمير الناس ، وداود بن محنـــدم فطردوهم ، وأرسل عبد الملك الى أخيه « بشر بن مروان » أن يمدهم بأربعة آلاف ، فبعث اليه أربعة آلاف عليهم « عتاب بن ورقاء » فطردوا الخوارج كل مطرد ، ولكن لقى الجيش جهدا عظيما وماتت خيولهم ولم يرجع أكثرهم الا مشاة الى أهليهم (٩٢) .

★ وهذه الوقائع تمخضت عن شعر كثير تمتزج فيه الحماسة بالحزن والهجاء بالفخر والقوة بالضعف ، ومن ذلك ما يقوله « عبيدة بن هلال » فى قالب « الأرجوزة » معبرا عن حيرته .. فالأرض قد ضاقت عليـــه بما رحبت وكذلك السماء ، يقول فى تساؤل وحيرة وخوف .. وينهى نفثته الحارة بتكرار الاستفهام ..

حتى متى يتبعنا الملهب
كانه فى أثر صيدى كوكب
فى كل يوم مقربات شـــزب (٩٣)
فرسانها من حنق تلهب
ليس لنا فى الأرض منه مهرب
ولا السماء .. أين .. أين المذهب ؟ (٩٤)

★ وقد ذكر ابن أعثم أن الأزارقة عزمت على أن تبيت المهلب فى عسكره ، فزحفوا حتى أشرفوا على باب نيسابور يتقدمهم « عبيـــدة » فقـــــال :

---

(٩٢) انظر : البداية والنهاية لابن كثير - المجلد الرابع - الجـــزء الثامن ص ٣٢٤ .
(٩٣) المقربات : الخيل : تدنى وتكرم ، شزب : ضوامر .
(٩٤) ديوان الخوارج ص ٩٢ .

« أيقظوا القوم لكيلا يقولوا « أتيناهم وهم نيام » ثم جعل يرتجز بهذه الأبيـــــات :

لسنا نريد غرة السبات
ان اغترارك من السوءات (٩٥)

★ وقال فى حملته على جيش المهلب :

أنا ابن خير قومه هـــلال
شيخ على دين أبى بلال
وذاك دينى آخر الليالى

★ والمعنى الذى صاغه أبو عبيدة بن هلال ، مصورا فيه ســطوة المهلب وعدم قدرة الخوارج على صده أو الفرار منه .. يصوغه رجل آخر من الخوارج فى قالب « الأرجوزة » مصورا الفزع والحيرة والبحث عن الماوى .. ولكن نلمح فزعة التحدى فى البيت الأخير .. لأنه لا يجـــد مهربا من جنود الحجاج وليس أمامه وأمام أصحابه الا الصمود والاستشهاد فى سبيل الحفاظ على معتقدهم ويبدأ أبياته بالاستفهام وينهيها بأسلوب القصر دلالة على نزعة التحدى والمواجهة يقول :

أكل يوم يبعث المهلب خيلا عليها من بنيه أغلب
ليس لنا فى الأرض منه مهرب
لا شىء الا الموت ـ والا فاهربوا

★ وقال بعض الخوارج ساخرا من المهلب ، ومتحديا سطوته ، وهو يخالف أبا عبيدة فى شعره الانهزامى ، ويخالف قول الآخر :

« ليس لنا فى الأرض منه مهرب »

أتانا بأحجار ليقتلنا بها وهل تقتل الأقران ويحك بالحجر ؟

---

(٩٥) السابق ص ٩٣ وانظر كتاب المفتوح ٢/١٧٧/أ ، وانظر : شعر الخوارج ـ د . احسان عباس .

★ وبعض الخوارج ينظر الى « المهلب » نظرة محايدة فيقدر فيه الفروسية والشجاعة ولكن لا يهابه ولا يخافه ، وهذه الرؤية لشخصية المهلب تأتى فى سياق رثاء نافع بن الأزرق ، حيث يصور الشاعر شجاعة نافع فى مواجهة سطوة المهلب وقوته وفروسيته ، يقول :

شمت المهلب والحوادث جمة ... والشامتون بنافع بن الأزرق
ان مات غير مداهن فى دينه ... ومتى يمر بذكر نار يصعق
والموت أمر لا محالة واقع ... من لا يصبحه نهارا يطرق
ورمى المهلب جمعنا بجموعه ... لما أصبنا بالصبور المتقى
ولئن منينا بالمهلب انه ... لاخو الحروب وليس أهل المشرق
ولعله يشجى بنا ولعلنا ... نشجى به فى كل ما قد نلتقى
بالسمر تختطف النفوس ذوابلا ... وبكل أبيض صارم ذى رونق
فيذيقنا فى حربنا ونذيقه ... كل مقالته لصاحبه : ذق (٩٦)

★ ويهجو « سواده الحرورى » رسول ، « المهلب بن أبى صفرة » هجاء سياسيا ، وهذا الهجاء ينطوى على خبرة بأصول السياسة ووعى كامل بأصولها ، فرسول المهلب ممثل له فى كل صفاته واتجاهاته وسلوكياته : يقول :

ولما اختبرنا ظالما برسوله ... وجدناه ذا رأى سخيف مضللا
شبيه أبيه فى سنه وفعاله ... ومستأجرا يعطى اذا الشهر اكملا
فلو كان ذا رأى وحسن تثبت ... رسولك يا مظلوم انجح مرسلا
لأن رسول المرء لطفا برفقه ... يلين قلب الملك اما تذللا
وان كان ذا خرق ونوك فخرقه ... يخشن منه الصدر أن يتفضلا (٩٧)
وكل رسول لا محالة مبلغ ... ولو ناله سهم الردى ماتحملا (٩٨)

---

(٩٦) ديوان الخوارج ص ٢٣٠ .
(٩٧) الخرق : الجهل والحمق ، النوك : العجز والجهل .
(٩٨) أنظر ديوان « الخوارج » ص ٧٣ .

د ـ هجاء آل على .. والموقف من فتنة التحكيم :

★ سبق أن عرضت لموقف الخوارج من فتنة التحكيم ، وتطور هذا الموقف بعد ذلك الى اتخاذ الخوارج منهجا خاصا بهم ، وظهرت آثار ذلك المنهج فى خطبهم وفى أشعارهم ، وقد عابوا على الشيعة مذهبهم ، فهذا أبو حمزة الشارى « الخارجى » يقول من خطبته فى مكة موضحا رأيه فى على وفى أصحابه ، « ثم ولى على بن أبى طالب .. فلم يبلغ من الحق قصدا ، ولم يرفع له منارا ، ثم مضى لسبيله » ، ويبين أبو حمزة رأيه فى شيعة « على » مفندا مزاعمهم ، وكاشفا بطلان قولهم بالرجعة ، حسب تصوره ، فيقول : « وأما هذه الشيع ، فشيع ظاهرت بكتاب الله ، وأعلنت الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ، ولا بعلم نافد فى القرآن ، ينقمون المعصية على أهلها ، ويعملون اذا ولوا بها ، يصرون على الفتنة ، ولا يعرفون المخرج منها ، جفاة عن القرآن أتباع كهان ، يؤملون الدول فى بعث الموتى ، ويعتقدون الرجعة الى الدنيا ، قلدوا دينهم رجلا لا ينظر لهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » (٩٩)

★ ويبين « سميرة بن الجعد » موقفه من فتنة التحكيم ، وهو ليس موقفا فرديا ولكنه موقف جماعى حيث يصوغه فى معرض وصفه لفرسان الخوارج ، وهجائه للحجاج ، واستجابته لقطرى حين حث الخوارج على الخروج .. يقول موضحا موقف الخوارج بعد أن وصفهم وبين سماتهم وخصائصهم وذلك عقب هجائه للحجاج .

ينـــادون بالتحكيم لله انهـــم ... رأوا حكم عمرو كالرياح الهوائج
وحكم ابن قيس مثل ذاك فاعصموا ... بحبل شديد المتن ليس ينـــاهج
ولا خير فىالدنيا اذا الدين لميكن ... صحيحا ولم يصمد لقصد المخارج

★ وحين نتأمل موقف الشاعر فى هذه الأبيات تأملا فنيا نعثر على شدة رفضه لقرار التحكيم ، وهذه الشدة تتجسد فى تشبيه حكم عمرو بن

---

(٩٩) ديوان الخارج ص ٢٨٥ .

العاص بالرياح الهوائج وكذلك رايه فى حكم ابن قيس وامعانا فى رفض هذا القرار وايحاء بانه مخالف للمنهج القرانى يستوحى المعنى القرآنى فى قوله سبحانه « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، اذ يقول الشاعر :

« فاعصموا .. بحبل شديد المتن ليس بناهج / أى ليس مهترئا » .

★ والموقف نفسه يصوغه « زيد بن عبد الله الراسبى » ، وكان من أهل « حروراء » فى أول أمر الخوارج ، ولكن الرواسبى هنا يدين عمرو بن العاص أكثر مما يدين أبا موسى الأشعرى لأن عمرو بن العاص بخداعه لأبى موسى جعله كمن يهوى من قمة جبل شاهق العلو ، حيث أوقعه فى جب لم يجد منه مخرجا ، ولقد شعر أبو موسى بهذا الضيق ولم يقابل عليا ، وهرب الى مكة ،وهبت رياح الفتن ، واحاطت صواعق الشرور بالناس ، بعد هذه الخديعة المحكمة ، يقول فى لغة شعرية تصويرية مجسدة للموقف :

شككتم .. ومن أرسى ثبيرا مكانه ... ولو لم تشكوا ما انثنيتم عن الحرب
فحييتم عمرا على غير توبة ... وكان لعبد الله خطبا من الخطب
فانكصتم للعقب لما خلا به ... فاصبح يهوى من ذرا خالق صعب (١٠٠)

★ وعند « فروة بن نوفل » وهو أشجى كوفى .. يتلون الموقف من التحكيم بصبغة أخرى فبينما نجد « زيد الراسى » متعاطفا مع ابى موسى الأشعرى مفسرا خديعة عمرو بن العاص له بأنها سببت له الهلاك ، نجد هنا أنه يصف الأشعرى بأنه أخو الضلال ، ويسخر من قول الشيعة بالرجعة ، ويهزأ من تحكيم عمرو فى كتاب الله ، وللانصاف اقول :

اذا كان ابو موسى الأشعرى لم يفطن الى حيلة عمرو بن العاص ، فليس من الصواب أن يوصف بالضلال ، ولكن هذه سمة الخوارج فى

---

(١٠٠) ديوان الخوارج ص ٦٧ .

احكامهم ، تسرع وانفعال ، وبعد عن معرفة أقدار الرجال وتعصب لما يذهبون اليه من آراء ، وهى فى معظمها أسيرة الرغبات والأهواء ، فاذا كانت غايتهم الحكم بما أنزل الله فلا تكون الوسيلة اراقة الدماء واهدار الحرمات ورمى المسلمين بالكفر لمجرد المخالفة فى الرأى أو الشبهات ، ولا تكون الوسيلة كذلك الحكم على المخالفين بالطرد من رحمة الله ، وهو القائل « ورحمتى وسعت كل شىء » .

يقول فروة بن نوفل :

كرهنا أن نريق دما حراما ... وهيهات الحرام من الحلال
وقلنا فى التى فتنت بقول ... معاذ الله من قيل وقال
نقاتل من يقاتلنا ونرضى ... بحكم الله لا حكم الرجال
وفارقنا أبا حسن عليا ... فما من رجعة احدى الليالى
فحكم فى كتاب الله عمرا ... وذاك الأشعرى اخا الضلال(١٠١)

★ ويبين « مسلم بن يزيد الثقفى » وهو من عباد « حروراء » كما يروى ابن عبدربه فى كتابه « العقد الفريد » . يوضح هذا الشاعر رأيه فى التحكيم فى نبرة هادئة وموقف معتدل وهو يترجم هذا الهدوء. وذلك الحياد الى واقع لغوى يناى به عن ثورة الانفعال ، فهو يصوغ رأيه فى أسلوب الشرط والجواب ايحاء بالتفكير المتعقل ، وأداة الشرط التى وظفها هى « ان » وهى تدل على عدم غلبة « النزعة اليقينية » لدى الشاعر ، وانما الشك والظن يغلفان موقفه ، وكأنه لا يدرى اين يكمن الصواب ، يقول :

وان كان ما عبناه عيبا فحسبنا ... خطايا بأخذ النصح من غيرنا صح
وان كان عيبا فاعظمن بتركنا ... عليا على أمر من الحق واضح
ونحن اناس بين بين .. وعلنا ... سررنا بامر غبه غير صالح(١٠٢)

---

(١٠١) السابق ص ١٥٩ .
(١٠٢) السابق ص ١٩٧ .

★ ولم يكتف شعراء الخوارج بتوضيح موقفهم من التحكيم ، بل تجاوزوا ذلك الموقف الى موقف التشفى والابتهاج بقتل على بن أبى طالب ونزعة التشفى تمتزج فى شعرهم بنزعة الفخر بالفروسية والشجاعة .

★ يقول ابن أبى مياس المرادى فى قتل على بن أبى طالب مفتخرا ومشيدا بفروسية الخوارج وشجاعتهم .

وعادتنا قتـــل الملوك وعـــزنا صدور القنا اذا لبسنا الســـنورا
ونحن ضربنا يالك الخير حيـدرا أبا حسن مأمومة فتفطـــــرا
ونحن خلعنـا ملكه من نظـــامه بضربه سيف اذ « علا » وتجبرا
ونحن كرام فى الصـــباح أعزة اذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا

★ والشاعر فى هذا الفخر لا يعبر عن موقف فردى - ولكنه يتكلم بلسان الجمع .. وهو لسان حال الخوارج ، وتكرار ضمير الجمع المتكلم فى أول الأبيات ، يؤكد هذا الموقف الجماعى ، وأى فخر وأى عصبية أبعد من هذا .. حيث يصبح قتل الملوك عادة .. وعزا .. وهو فخر فى غير موضعه . انه هنا لم يذكر العقيدة ، ولا الشهادة ، بل قال « اذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا » وهى صورة حركية تجسم الصراع بين المتحاربين، فالشاعر هنا تفوق فنيا - ولكن يبقى مضمونه فى دائرة الرفض لأنه مغلف بالتعصب والادعاء .

★ ويصل التعصب بابن أبى مياس المرادى الى حد الاشادة بقاتل على بن ابى طالب عبد الرحمن بن ملجم ، وفى ذلك تشف وتعصب بغيض للمذهب ، انه يقول :

تضـــمن للآثـــام لا در دره ولاقى عقابا غير ما متصـــرم
فلم أر مهرا ساقه ذو ســـماحة كمهر قطام من غنى ومعـــدم
ثلاثة آلاف وعبـــد وقينـــة وضرب على بالحسام المصـــمم
فلا مهر أغلى من على وان عـلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

لا وقطام التى قدم لها ابن ملجم مهرها مصبوغا بدم على هى « قطام بنت الشجنة » ، وكانت تبغض عليا وتتحين الفرصة للأخذ بثار أبيها وأخيها منه حيث قتلهما على يوم « النهروان » وكانا من الخوارج وكانت - كما يروى ابن كثير - فائقة الجمال مشهورة به .

وكانت قد انقطعت فى المسجد الجامع « بالكوفة » تتعبد فيه ، فلما رآها ابن ملجم سلبت عقله ونسى حاجته التى جاء لها وهى قتل « على » رضى الله عنه ، وخطبها الى نفسها فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهم وخادما وقينة ، وان يقتل لها على بن أبى طالب . قال : فهو لك ، ووالله ما جاء بى الى هذه البلدة الا قتل على ، فتزوجها ، ودخل بها ، ثم شرعت تحرضه على ذلك وندبت له رجلا من قومها من « تيم الرباب » يقال له وردان ، ليكون معه ردءا ، واستمال عبد الرحمن بن ملجم رجلا آخر يقال له « شبيب بن نجدة الأشجعى الحرورى » : قال له ابن ملجم ، هل لك فى شرف الدنيا والآخرة ، !!!!

فقال : وما ذاك .. ؟

قال : قتل على ..

فقال : ثكلتك أمك ..

لقد جئت شيئا ادا .. كيف تقدر عليه .

قال : اكمن له فى المسجد ، فاذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فان نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثارنا ، وان قتلنا فما عند الله خير من الدنيا .

فقال : ويحك : ولو غير « على » كان أهون على ، قد عرفت سابقته فى الاسلام وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما أجدنى أنشرح صدرا لقتله .

فقال : اما تعلم انه قتل أهل النهروان .

فقال : بلى .

قال : فنقتله بمن قتل من اخواننا .

فاجابه انى ذلك بعد لأى ، ودخل شهر رمضان ، فواعدهم ابن ملجم ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت .

وقال : هذه الليلة التى واعدت أصحابى فيها ان يثاروا بمعاوية وعمرو بن العاص .

★ فجاء هؤلاء الثلاثة وهم ابن ملجم ووردان وشبيب ، وهم مشتملون على سيوفهم فجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على ، فلما خرج جعل ينهض الناس من النوم الى الصلاة ، ويقول : الصلاة - الصلاة - فسار اليه شبيب بالسيف فضربه فوقع فى الصاق ، فضربه ابن ملجم بالسيف على قرنه فسال دمه على لحيته رضى الله عنه ، ولما ضربه ابن ملجم قال « لا حكم الا لله ، ليس لك يا على ولا لأصحابك » ، وجعل يتلو قوله تعالى « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » (١٠٣) .

★ ونادى « على » عليكم به ، وهرب وردان فادركه رجل من « حضرموت » فقتله ، وذهب شبيب فنجا بنفسه وفات الناس ، ومسك ابن ملجم ، وقدم « على » جعدة بن هبيرة بن ابى وهب فصلى بالناس صلاة الفجر ، وحمل على الى منزله وحمل اليه عبد الرحمن بن ملجم فاوقف بين يديه وهو مكتوف « قبحه الله » فقال له : أى عدو الله .. الم احسن اليك ؟ قال : بلى

قال : فما حملك على هذا ؟

قال : شحذته اربعين صباحا وسالت الله ان يقتل به شر خلقه .

---

(١٠٣) سورة البقرة آية

فقال له على : لا أراك الا مقتولا به ، ولاأراك الا من شر خلق الله.

ثم قال : ان مت فاقتلوه ، وان عشت فأنا أعلم كيف أصنع به .

فقال : جندب بن عبد الله .

يا أمير المؤمنين ان مت نبايع الحسن

فقال : لا آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر » (١٠٤) .

★ وقد كان « على بن ابى طالب » يتوقع هذه النهاية ، وبرغم ذلك كان لا يحذر بل كان يستعجل الأجل نظرا لكثرة الفتن وتخاذل أهل العراق ، وقوة شوكة أهل الشام أتباع معاوية .

وقد روى انه قال : والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لتخضبن هذه من هذه ، للحيته من رأسه فما يحبس أشقاها .

فقال : « عبد الله بن سبع » والله يا امير المؤمنين لو ان رجلا فعل ذلك لأيدنا عترته .

فقال : أنشدكم بالله ان يقتل غير قاتلى .

فقالوا : يا امير المؤمنين : ألا تستخلف ؟

فقال : لا : ولكن أترككم كما تركككم رسول الله .

قالوا : فما تقول لربك اذا لقيته وتركتنا هملا ؟

قال : اقول : اللهم استخلفتنى فيهم ما بدا لك ثم قبضتنى وتركتنى فيهم ، فان شئت أصلحتهم وان شئت أفسدتهم » (١٠٥) .

---

(١٠٤) أنظر البداية والنهاية لابن كثير من ص ٣٢٦ - ٣٢٧ - مجلد ٤ ج ٧ .

(١٠٥) السابق ص ٣٢٣ .

★ ويعد « عمران بن حطان » اقدام ابن ملجم على قتل على قربة الى الله ، وتقوى خالصة وبئس هذا التصور ، انه يصف ابن ملجم بانه اوفى البرية عند الله ميزانا ، ويصف عليا بانه شر الخلق وانه جنى من الآثار ما يستحق عليه هذه النهاية ، وهى رؤية موغلة فى التطرف ، دفعت اليها العصبية المذهبية ، وعدم الاهتداء الى المنهج السوى والبعد عن « الصراط المستقيم » صراط الله الحق « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١٠٦) .

يقول « عمران بن حطان » :

يا ضربة من تقى ما أراد بها ... الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
الى لأذكره حينا فأحسبه ... أو فى البرية عند الله ميزانا
لله در « المرادى » الذى سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق انسانا
أمسى عشية غشاه بضربته ... مما جناه من الآثار عريانا
أكرم بقوم بطون الطير قبرهم ... لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا
حتى متى لا نرى عدلا نعيش به ... ولا نرى لدعاة الحق أعوانا (١٠٧)

ثالثا : الآفاق الفنية

★ ان الفن يمتزج بالموضوع ويتلبث به فى التجربة الشعرية ، وفى تجربة الخوارج الشعرية - على وجه الخصوص - لا تنفصل الرؤية عن الأداة ، وما مضى من رصد للآفاق الموضوعية كان ممتزجا بالخيوط الفنية التى يتكون منها نسيج العمل الفنى .

★ وبعد تأمل ديوان الخوارج ، وتمعن نتاجهم الشعرى فى ضوء المنظور الجمالى وجدت أن آفاقهم الفنية تتضوأ بالظواهر المتعددة ومنها :

---

(١٠٦) ديوان الخوارج ص ١٣١ - ١٣٢ .
(١٠٧) المصدر السابق .

أ - التأثر بالبيان القرآنى :

وتعد هذه الظاهرة الفنية الأسلوبية سمة تميز شعر الخوارج ، وهى بارزة لديهم فى شعرهم بصورة أكيدة وأوضح تفوق شـــعر المذاهب الأخرى .

وبعض الباحثين يعد هذه الظاهرة من سمات التجديد فى شعر الخوارج ، ويقول « شعر الخوارج جديد فى موضوعه ، فهو شعر مذهب حديث أوجده الاسلام من أساسه ، وغذاه بأصوله السياسية والدينية ، وهو جديد فى معانيه ، اذ كانت الآراء والبراهين اسلامية جديدة من القرآن أو السنة لا تمت الى الجاهلية بسبب » ويصف شعر الخـــوارج بأنه « جديد فى أساليبه الرقيقة السلسة الجزلة التى تعتمد على القرآن فى الصياغة ، حتى ان كثيرا من أبياته ليست الا تضـــمينا لآى القرآن الكريم » (١٠٨) .

★ وقد فسر « د . عبد القادر القط » هذه الظاهرة بأنها دليل على نزعة الزهد عند الخوارج فقال : « ومن الطبيعى أن يكون من بعض مظاهر هذه النزعة الى الزهد ميل هؤلاء الشعراء الى تضمين كثير من المعانى القرآنية بألفاظها فى كثير من الأحيان ، على نحو يتجاوز التأثر المألوف بالقرآن عند سائر شـــعراء ذلك العصر (١٠٩) أى العصر الأموى » .

★ والتأثر بالبيان القرآنى ، جعل شعر الخوارج يمتاز بفصـــاحة العبارة ، وقوة الأسلوب وشدة التأثير فقد احتفظوا « بطبعهم البدوى المهذب ، لم تفسده تقاليد الحضارة فبقى صافيا نقيا ، فاذا أضيف الى ذلك ، صدق الشعور ، والاغتراف من بلاغة القرآن الذى أدمنوا قراءته وحفظه وتدبره ، واتخذوه منهاجا لهم فى القول والعمل ، أدركنا مدى

---

(١٠٨) انظر تاريخ الشعر السياسى ص ١٠٨ ، أحمد الشايب .
(١٠٩) فى الشعر الاسلامى والأموى ص ٣٨٩ ، د . عبد القادر القط

ما كان يتمتع به اسلوبهم من قوة تاثير ، شهد به فصحاء أعدائهم ».. يقول « عبد الملك بن مروان » - وكان بصيرا بفن القول - عن خراجى بسط له مذهبه ، بلسان طلق ، والفاظ بسة ، ومعان قريبة ، « لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم » (١١٠) .

★ ولا تكاد تخلو قصيدة من شعر الخوارج من التاثر بالقرآن الكريم فى الألفاظ او فى التراكيب او المعانى ، او التصوير الفنى ، او الاقتباس اللفظى ، ومن ذلك قول عمران بن حطان :

« اقترب الوعد » والقلوب الى الـ لهو ، وحب الحياة سائقها

ثم يقـــــول :

أم من تلظى عليه موقدة النـــ ـار محيط بهم سرادقهـــا
أم اسكن الجنة التى وعـــد الـ ابرار مصفوفة نمارقهـا (١١١)

★ والاقتباس من القرآن تفصح عنه هذه العبارات

« اقترب الوعد - محيط بهم سرادقها - مصفوفة نمارقها »

★ ويقول « حبيب بن خدرة الهلالى » متأثرا بالأســـــلوب القـــــرآنى :

أبكى الذين تبوءوا الغرف العلا فجرت لهم من تحتها الأنهار (١١٢)

★ ويصف « الطرماح بن حكيم » مصير الانسان ومآله مستوحيا معانيه والفاظه من القرآن الكريم يقول :

---

(١١٠) انظر : اتجاهات الشعر فى العصر الأموى . د . صلاح الدين الهادى ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .
(١١١) انظر الكامل للمبرد ج ٣ ص ١٣٧ .
(١١٢) ديوان الخوارج ص ٤٣ .

يوم لا ينفع المخـول ذا الثـــروة خـــلانه ولا ولـــــده
بم يؤتى به ، وخصـماه وسطالـ ـجن والانس رجله ويده(١١٣)

ب ـ المعجم المتشابه والمداخل :

ان شعر الخوارج متشابه المشرب ، متداخل المعانى لأنهم يصـدرون عن روح واحدة هى روح المذهب ، وقد أدى ذلك التشابه والتداخل الى الخلط فى رواية الأشعار ، فنسبت بعض الأشعار لغير أصحابها ، ولكنهـا فى النهاية تصور آراء الخوارج وتوضح مذهبهم « ويلاحظ أن الشخصيات الفنية لشعراء الخوارج متشابهة لا نجد بينها فرقا كبيرا فى الصياغة ، فاذا نسب شعر أحدهم الى الآخر جاز على كثير من القراء ، وقد وقع الأقدمون فى ذلك ، ولعل سببه هو فناء الشعراء فى عقيدتهم وتشبثهم بها فخضعوا لسلطانها راضين مغتبطين ، لم يشغلوا بسواها علنهـــا فاتجد معينهم الأول ، وكانت مدرستهم الفنية واحدة هى القرآن الكريم ، وتأثروا بشعور مشترك وحوادث واحدة فساعد ذلك على القوة المشابهة الفنية دون التماثل التام (١١٤) .

★ ومن دلائل هذا التشابه المعجمى والفكرى والفنى ما يشيع فى أشعارهم من ألفاظ ومن معان ومن صور متشابهة .

فلفظ « الشراة » يكثر فى أشعارهم بتصريفاته المتعددة ، وبيع النفس لله يأتى مؤكدا للقب « الشراة » .

والشاعر الواحد يكرر لفظ « الشراة » كثيرا فى قصائده ومن هؤلاء « الجعدى بن أبى صمام الذهلى » فانه حين يرثى مطر بن عمران بن شور الخارجى يقول :

أرى مطرا قد باع لله نفسه بما ظل يعطى للشراة ويوعد

---

(١١٣) السابق ص ٨٣ .
(١١٤) انظر تاريخ الشعر السياسى ص ٢١٠ احمد الشايب .

★ وحين يرثى « ابن مسرح » يقول :

أيا عين فابكى صالحا ان صالحا شرى نفسه لله يبغى بها الخلدا

★ وحين يرثى الخوارج الذين قتلوا يوم « دقوقاء » :

شباب أطاعوا الله حتى أحبهم وكلهم شار يخاف ويطمع

★ والخبرى الشيبانى فى معرض رثائه لعبد الملك بن علقمة يقول :

وما قتل « على » شار بعار ولكن يقتلون وهم كرام

و « زياد الأعسم » يقول :

فكيف قعودى والشراة كما أرى عزين يلاقون البلايا الدواهيا

★ ويتكرر هذا اللفظ كثيرا فى شعر الخوارج ، وأحيانا يتكرر فى البيت الواحد مرتين مثل قول سميرة بن الجعد :

الى قطرى فى الشرة معالجا ولست الى غير الشراة بعائج

★ ويبدأ « الطرماح بن حكيم » .. احدى قصائده بتمجيد أصحابه قائلا :

لله در « الشراة » انهم اذا الكرى مال باللطى أرقوا

★ وعبد الله بن وهب الراسبى .. يرتجز وينسب نفسه للشراة قائلا :

أنا ابن وهب الراسبى الشارى

أضرب فى القوم لأخذ الثار

حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق الى الأخيار (١١٥)

جـ ـ مقدمات القصائد ونزعة التجديد :

لم يبدأ (١١٦) الخوارج قصائدهم بداية تقليدية جريا على أعراف القصيدة العربية القديمة ولكنهم كانوا يلجون الى غرضهم مباشرة ، وأحيانا كانوا يبدءون قصائدهم بالغزل . وبرغم ذلك نراهم لا ينطلقون من نزعة تقليدية . لكن يعبرون عن عاطفة وجدانية صادقة « فليس فى حياة الخارجى مجال لذلك الغزل التقليدى الذى تفتتح به القصائد الطويلة .. ولا مجال كذلك للوقوف على الأطلال أو وصف الرحلة البعيدة الى الممدوح أو الحديث المفصل عن وقائع الجاهلية وأنساب القبائل والآباء والأجداد ومكانهم من الصنعة والشرف ، ما دام الشاعر يرفض التفاخر بالأنساب ويرى أن أكرم الناس عند الله أتقاهم » (١١٧) .

★ ونرى « قطرى بن الفجاءة » ـ يبدأ احدى قصائده بذكر أم حكيم « ومطلع القصيدة يشابه مطالع القصيدة التقليدية ، ولكن هذا التشابه يعد شكليا فقط لأن مطلع قصيدة « قطرى » يعد من صميم التجربة الشعرية ، فهو يمزج عاطفة الحب بعاطفة الشوق للقتال والطعان ، ويختم القصيدة بمعنى يردده الخوارج كثيرا .. وهو بيع النفس للاله » : يقول منوها ببسالتهم فى يوم دولاب .

لعمرك انى فى الحياة لزاهد ... وفى العيش ما لم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها ... شفاء لذى بث ولا لسقيم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا ... تبيح من الكفار كل لئيم
رأت فتية باعوا الاله نفوسهم ... بجنات عدن عنده ونعيم (١١٨)

---

(١١٥) أنظر ديوان الخواج الصفحات الآتية : ٣٨ ـ ٥٩ ـ ٦٥ ـ ٧١ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٩٤ ـ ٩٨ ـ ١٤٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ٢٠٩ .
(١١٦) فى الشعر الاسلامى والأموى ص ٣٨ ـ د . عبد القادر القط .
(١١٧) فى الشعر الاسلامى والأموى ص ٣٧٨ ـ د . عبد القادر القط
(١١٨) ديوان الخوارج ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ـ ١٧٥ .

★ ويبدأ « عمرو بن الحصين » فى قصيدته فى رثاء أبى حمزة وغيره من الشراة ، بحوار بينه وبين « هند » .. والحوار نابع من تجربة الشاعر وحزنه على اصحابه ، وتعد هذه القصيدة من اطول قصائد الخوارج وأقواها فهى تبلغ ستة وخمسين بيتا ، ونادرا ما تطول القصائد فى شعر الخوارج .. يقول :

هبت قبيـــــل تبلج الفجـــر ... هند تقول ودمعهـــا يجـرى
انى اعتراك وكنت عهـــدى لا ... سرب الدموع وكنت ذا صبـــر
أم ذكر اخوان فجعت بهـــم ... سلكوا سبيلهم على خبـــــر
فاجبتهـــا .. بل ذكر مصرعهـم ... لا غيره عبراتهـــا يمـــرى
يارب أســـلكنى ســـبيلهم ... ذا العرش - واشدد بالتقى أزرى
فى فتية صبروا نفوســـهم ... للمشـــرفية والقنا السمر (١١٩)

★ وتبدأ بعض القصائد بمواجهة النفس وتحديها ، وهذه المواجهة وذلك التحدى ينبع من الرغبة فى الاستشهاد فى سبيل العقيدة التى يدافعون عنها حسب تصورهم .

★ يقول « عمران بن حطان » فى مطلع قصيدة يرثى بها ابا بلال :

ان كنت كارهة للموت فارتحلى ... ثم اطلبى أهل أرض لا يموتونا
فلست واجدة أرضا بها بشر ... الا يروحون أفواجا ويغدونا (١٢٠)

★ و « قطرى بن الفجاءة » يخاطب نفسه ، ويواجهها بحقيقة الموت استشهادا فى سبيل الحق ، وهذا هو مبدأ « الشراة » الذين يبيعون أنفسهم لله .

---

(١١٩) أنظر نص القصيدة كاملا بديوان الخوارج من ص ١٤٠ - ١٤٥
(١٢٠) السابق ١٣٢ .

أقول لنفسى حين طال حصارها وفارقها للحادثات نصيرها
لك الخير موتى، ان فى الخير راحة فيأتى عليها حينها ما يضيرها

★ وقال يبث فى نفسه الشجاعة وعدم الخوف من الموت :

أقول لها وقد جاشت حياء من الأبطال ويحك لا تراعى
فانك لو طلبت حياة يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى
فصبرا فى مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع (١٢١)

★ وبعض القصائد فى شعر الخوارج تبدأ « بالتجريد » ، وبعض الشعراء يخاطب اثنين وبعضهم يخاطب واحدا ، وربما وجه الخطاب الى ذاته .

★ يقول « بهيس بن صهيب » مبينا عن حزنه فى ثوب قصصى ونزعة وجدانية :

ألما على قبر لصفراء فاقرأ السلام ، لقد حييت يا أيها القبر
وما كان شىء غير أن لست صابرا دعائك قبرا دونه منهج عشر

★ ويبدأ « عمرو بن الحسين » قصيدته بأسلوب التجريد ، وهو يذكر وقعة قديد ، وأمر مكة ودخولهم لها .. قائلا :

ما بال همك ليس عنك بعازب يمرى سوابق دمعك المتساكب

ويبدأ الشعراء قصائدهم أحيانا بالبكاء على الأطلال ، وهو ليس بدافع التقليد ومحاكاة القدماء ، ولكنه مرتبط بلب التجربة والدفاع عن المذهب يقول : العيزار بن أخفش الطائى :

الا حى رسم الدار أصبح باليا وحى - وان شاب القذال - الغوانيا
تحملن من سلمى فوجهن بالضحى الى أجل يقطعن بيدا مهاويا (١٢٢)

---

(١٢١) السابق ص ١٦٦ - ١٦٩ .
(١٢٢) أنظر ديوان الخوارج ص ١٣٨ ، ١٥١ .

٤ - التكرار والاستفهام :

★ وظاهرة التكرار تعد من الظواهر الأسلوبية التى تشيع فى شعر الخوارج ، وكذلك ظاهرة الاستفهام ، وشيوع هاتين الظاهرتين منفصلتين أو مقترنتين عند الشعراء الذى يتمثل فى شعرهم مذهب الخوارج يعد ترجمة صادقة لصدق انفعالهم ، وصدى لحماسهم المتجاوب مع حركة الدفاع عن مبادئهم .

★ والتكرار ألوان متعددة ، وبنية التكرار على اختلاف أنماطها يمكن أن تحل فى كل نص شعرى على نحو من الأنحاء ، بل انها فى بعض الأحيان قد تستغرق النص الشعرى كله ، على اختلاف أنماط التكرار كما أبرزها علماء البلاغة ، فهناك المجاورة التى ترصد شكلا تكراريا يعتمد على المجاورة أو القرب بين الألفاظ ، وهناك الترديد الذى يقوم هو الآخر على نوع من التكرار الذى تستقر فيه اللفظة فى تركيب أو بيب شعرى ، لتؤدى معنى معينا ثم تعود لتستقر فى تركيب آخر لتؤدى دورا جديدا .

وهناك تشابه الأطراف ، وهو فى تكوينه الشكلى قريب من النمط السابق مع اضافة لها أهميتها من حيث أصبح الالتزام بموضع محدد فى الصياغة هو المميز الأساسى له ، فاللفظة الأولى تقع ختاما لجملة أو بيت شعرى ، واللفظة الثانية تقع افتتاحا لجملة أو بيت آخر ، وقد تتكاثر الألفاظ المكررة فى هذا النمط لكن مع احتفاظها بالبعد المكانى .

وهناك رد الاعجاز على الصدور ، وهو نمط تكرارى آخر يعتمد على تحويل الشكل التعبيرى الى بنية مغلقة بدايتها هو نهايتها ، وتكاد التسمية ذاتها تشى بهذا الناتج الدلالى .

★ وهناك أخيرا التكرار الخالص بمستوياته المتعددة التى تعرض

لها البلاغيون وشققوا منها أنماطا تبعا لما كشفوه فيها من خواص صوتية أو دلالية » (١٢٣) .

★ وفى شعر الخوارج كثيرا ما يرد التكرار مقرونا بصيغة الاستفهام وبخاصة فى مجال الرثاء مما يدل على شدة الأسى والحزن ، وعمق التاثير فى نفس المتلقى عن طريق التأثيرات الصوتية والدلالية الناتجة عن تكرار أداة الاستفهام مع ما يتلوها من كلمة أو جملة ، وأحيانا تتكرر الشطرة كلها .

★ وفى شعر « مليكة الشيبانية » تبرز ظاهرة التكرار المقرون بالاستفهام بصورة تلفت نظر الباحث والقارىء ، انها ترثى من فارقت رثاء حارا تقيم بناءه على أسلوب التكرار حيث يتكرر الفعل « أبى » ثلاث مرات فى ثلاثة أبيات وتأتى مادة البكاء مرة رابعة فى البيت الثانى وهذا التكرار للفعل أبكى تأتى بنيته اللغوية فى الزمن الآنى والمستقبلى ، زمن الفعل المضارع ، دلالة على استمرار فاعلية البكاء .. وصدق الشعور وديمومته .. تقول :

أبكى المغيب فى الثـــــرى ... بين النضـــائد والصـــفائح
أبكى وحـــــق لى البكـــــا ... مع الغـــــوادى والـروائح
فلأبكينـــــك ما غـــــدت ... شمس وما جـــرت البـــوارح

★ ثم تواصل مشاعرها .. وتعتمد على التكرار المقترن بالاستفهام .. اذ تقول :

من ذا يرجى للنصـــــيـ ... ـحة تعتقـــد النصـــائح ؟
أم من يرجى للقـــــريـ ... ـب ومن يكون لكل نـــازح ؟
أم من يؤمـــل لليتيـــــ ... ـم وكل ذى غرب ونائـــح ؟
أم من يعـــم صديقـــــه ... خيرا ويحجـــر كل نايـــح ؟

---

(١٢٣) انظر : بناء الأسلوب فى شعر الحداثة « التكوين البديعى » د . محمد عبد المطلب .

★ وتقول وهى ترثى عمتها .. وتكرر شطرة واحدة مرتين لتعبر عن عمق حزنها :

أصبرت عن عمى الـــــذى قد كان بالمعـــــروف آمـر ؟
أصبرت عن عمى الـــــذى كان المؤامـــر والمـــــؤازر ؟

★ والشاعرة نفسها فى رثاء عمها أيضا تبدأ قصيدتها بتكرار أداة الاستفهام ثم تختم القصيدة بتكرار أدوات الاستفهام وأسماء الموصـــول وأدوات الشرط :

أين الذين اذا ذكرت فعـــالهم عرفوا بحسن عفافة ووقـــار ؟
أين الذين اذا أتاهم ســـائل بذلوا له أموالهم بيســـار ؟
أين الذين اذا ذكرنا دينهـــم قالت عشائرهم : هم الأخيـار ؟

★ وفى البيت الأخير « اقواء » وكثيرا ما يقع فى هذا العيب شعراء الخوارج .

★ والشاعرة نفسها تكرر فعل الأمر « قولى » فى بداية رثائهـا للضحاك بن قيس الخارجى وأصحابه ، وكذلك تكرر الفعل ، « ولأبكينك مرتين فى ختام قصيدة أخرى فى رثاء الضحاك بن قيس » (١٢٤) .

★ والشاعر « عمرو القنا بن عميرة العنبرى » بعد انهزام الأزارقة أمام المهلب خرج يرتجز مكررا لفظ « كلاهما » ست مرات فى أول الأبيات ، ولهذا التكرار ايقاع مؤثر أخاذ حين يقرن بما بعده من كلمات متوازية الايقاع تصور حماس الشاعر وانفعاله - يقول :

اليـــوم عمرو وغدا عبيـــدة
كلاهمـــا شـــوكته شـــديدة
كلاهمـــا غايتـــه بعيـــدة
كلاهمـــا طعنتـــه عنيـــدة

---

(١٢٤) أنظر هذه النصوص فى ديوان الخوارج من ص ٢٠٠ - ٢٠٣

كلاهمـــا صعدته جـــــريدة
كلاهمـــا وقعتـــه مبيـــــدة
كلاهمـا فراره مكيـده (١٢٥)

٥ ـ الوحدة الفنية وكثرة الأراجيز :

ومن خصائص شعر الخوارج عدم تفكك القصائد ، وعدم تعـــــدد اغراضها « فالموضوع واحد ، والمعانى من واد واحد ، والصور متشابهـة حماسية ، ولم يفرغ شعراء الخوارج للصنعة والافتتان » (١٢٦) .

ووحدة الموضوع ، وتشابه الصور ادت الى صياغة الخوارج قصائدهم فى قالب موجز فاتسمت قصائدهم بعدم الطول ، وكذلك كثرت فى شعرهم الأراجيز التى تصور صدق انفعالهم ، وشدة حماسهم لقضيتهم .

والنماذج التى تفصح عن هذه الظاهرة الفنية فى شعر الخوارج كثيرة ومنها قول الشاعر « الأعرج المعنى » مفتخرا بقوته ومصـــــورا لعزيمته واصراره على المبدأ :

انا أبو بزة اذ جد الوهـــــــل
خلقت غير زمـــــل ولا وكـــــل
ذا قوة وذا شباب مقتبـــــــــل
لا جزع اليـــوم على قرب الأجل
المـوت احلى عندنا من العســـل
نحن بنى ضـبة اصحاب الجمـل
نحن بنو الموت اذا الموت نزل (١٢٧)

★ ولم تقتصر الأراجيز على الشعر الحماسى ، بل نرى « أم حكيم » « ترتجز » وتصور مللها من حياتها ، وتشتاق الى حياة اخرى ، وكانت

---

(١٢٥) ديوان الخوارج ص ١٤٨ .
(١٢٦) تاريخ الشعر السياسى الى منتصف القرن الثانى ص ٢٠٩
(١٢٧) ديوان الخوارج ص ٢٢ ، ٢٣ .

الخوارج يفدونها بالآباء والأمهات ، وخطبها جماعة من اشرافهم فردتهم (١٢٨) .

تقول أم حكيم :

احمل رأسا قد سئمت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
الا فتى يحمل حنى ثقله

★ و « أم البرذون الصفرية » ترتجز فى نزعة حماسية ، والحماس يصيب الشعر بالضعف الفنى ولكن الايقاع السريع ووزن بحر البسيط أعطى للأبيات لونا من الوان التأثير الفنى الذى لا يحد مصدر اشعاعه ، وقد يكون هذا المصدر متمثلا فىصدق الانفعال ، والاحساس الثائر ، والرغبة فى التشفى ، تقول « ام البرذون الصفرية » .

نحن عبرنا الخندق المقعرا
ويم لقيناكم وجزنا العسكرا
حتى قتلنا عاصما وجعفرا
والفاسق الضبى لما ادبرا

★ ومن يطالع ديوان الخوارج يعثر على أراجيز كثيرة يكثفون فيها تجاربهم ويبتعدون عن النسيج المهلهل (١٢٩) ويحققون الوحدة الفنية فى كثير من نتاجهم الشعرى .

★ وشعر الخوارج اذا وازنا بينه وبين الشعر الذى أبدعه شعراء الأمويين نرى أن الخوارج أصدق عاطفة ، وأشد حرارة وأعظم ثباتا على مبادئهم أما شعراء بنى امية فكانوا يعبرون عن وجهة نظر سياسية

---

(١٢٨) السابق ص ٣٧ .

(١٢٩) أنظر ديوان الخوارج الصفحات الآتية على التوالى (٢٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٧ - ٣١ - ٣٧ - ٥٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٩ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٦٢ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٩٠ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢٢٠ - ٢٢٨ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤) .

ويطمعون فى المال ثمنا لدفاعهم عن بنى أمية ، ومن ثم كانت المبالغات ، والبعد عن الصدق فى كثير من الأحيان .

★ الخوارج اتسمت قصائدهم بالوحدة الموضوعية والفنية ، أما الشعراء الأمويون فانهم عددوا موضوعات الشعر ، وجروا على نظام القصيدة القديم .

★ الخوارج ، يعد شعرهم نموذجا للشعر الملتزم فقد قصروا أشعارهم على مذهبهم وما يتصل بحياتهم من حروب وثورات .

★ الخوارج حفظوا القرآن الكريم ، وكانت حياتهم وفنهم ، وأشعارهم من وحى معانيه الكريمة فى كثير من تجاربهم وقد تطرفوا كثيرا فى أحكامهم وآرائهم .

★ والخوارج ارتفعوا فوق التعصب (فى كثير من التجارب) ، والتقوا حول نور العقيدة يحتمون ببريقه الوهاج ، بينما غرق شعراء بنى أمية فى أتون العصبية القبلية والسياسية ، ونشأ فن النقائض وشبت بينهم نار التهاجى .

★ وشعر الخوارج نابع من أعماق الذات ، ومن داخل النفس ، ولذلك يستميت أصحابه فى نصرة مبدئهم ، ويعدون الموت خلودا وفوزا .

★★ وتتعدد الآفاق الموضوعية والفنية ، وما ذكرته فى هذا البحث من رصد للآفاق الموضوعية والآفاق الفنية لا يغلق الباب فى وجوه الباحثين ، وانما يدعو الى تآزر الجهود والملكات الباحثة والناقدة للكشف عن معالم تجربة الخوارج من جميع جوانبها ، فهى تستحق البحث الدقيق والتأمل العميق .

والله الموفق والهادى الى سواء السبيل

د . صابر عبد الدايم

أستاذ الأدب والنقد المساعد

بكلية اللغة العربية بالزقازيق